رحلة داخل القبر

ضياء سعيدة

الشيخ
محمد الصايم
من علماء الأزهر الشريف

المكتبة التوفيقية

رحلة داخل القبر

الشيخ
محمد الصايم
من علماء الأزهر الشريف



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين

إهـــداء

- إلى الذين آمنوا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا ومحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً..
- إلى الذين آمنوا بالموت والبعث والنشور.
- إلى أقوام لا تلهيهم الدنيا بشهواتها ولا يغرهم بالله الغرور.
- إلى أناسٍ جعلوا القرآن ربيع قلوبهم ونورَ أفئدتهم وأنيس قبورهم.
- إلى الصادقين فى أقوالهم. الخاشعين فى صلاتهم الباكين فى دعائهم.
- إلى الذين أحـبوا الله فأحـبهم. ورجـعوا إليه فـقبلهم قـوم لا يبيـعون آخرتهم بدنياهم.

أهدى كتابى

محمد الصايم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾

[سورة الحج: ٦، ٧]

موعظة للغافلين

تذكر وقوفك يوم العرض عُريانًا

مُستوحشًا قلق الأحشاء حيرانَ

والنارُ تلهب من غيظ ومن حنقٍ

على العُصاة ورب العرش غضبان

اقرأ كتابك ياعبدى على مهلٍ

فهل ترى فيه حرفا غير ما كانَ

فلما قرأت ولم تُنكر قراءته

أقررت إقرار من عرف الأشياء عِرفانَ

نادى الجليل خذوه يا ملائكتى

وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانَ

الكافرون غداً فى النار يلتهبوا

والمؤمنون بدار الخُلد سكانَ

مقدمــة

الحمد لله رب العالمين، المحيى المميت. الحىّ الذى لا يموت. الذى خلق كل شىء فقدره تقديراً. والذى خلق الإنسان فى أحسـن تقويـم. وهـداه إلى الصراط المستقيم. وكرّمه فى حياته وأقبره عند مماته. وهو العلى القدير.

والصلاة والسـلام على المبعوث رحمة لـلعالمين الهادى البشـير والسراج المنير محمد بن عبد الله وعلى آله وصحابته أجمعين.

وبعد:

فإن الحـديث عن القبر. ومـا يحدث قبل وبعـد الدخول فيـه. وكيف يستـعد المؤمن له؟ ومـا هى أهواله وماذا يـلاقى فيه..؟ إن الحـديث عن كل ذلك يجعل الدنيـا تهون فى أعين الخاشعين وتتـدنا بين أيدى المتقين.. لأنهم يرونها رؤية التارك لهـا. الفار من ملاذاتها. الطامع فى أن يكون قـبره روضة من رياض الجنة.. والدنيا بالنسـبة لساكنى القبور صـغيرة جداً.. لأن القبر أول منزل من منازل يوم القيـامة.. فكما قـال رسول الله -ﷺ- **«مَنْ مات فقد قامت قيامته»**.

إن الله عز وجل أخـفى عنا عذاب القبر ونـعيمه حـتى يرُهب العاصين ويرُغب المتقين. ولو تذكـر المؤمن بل كل إنسان عندما يدخل القبـر إنما يعود لأصل بيته. لأن الله عز وجل يقول:

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[1].

ويخاطب الشاعر نفسه وغيره فيقول:

---

(١) سورة طه: ٥٥.

خُلقت من التـــراب وأنت منه

وعُلمت الفـــصـــيح من الكلام

فلولا القـــبـــر صـــار عليك ســتراً

لـــنـــتن الأبـــاطـــح والمـــكـــان

إن الاستعداد ليوم الرحيل يحتاج منا الكثير والكثير يحتاج منا أن نتقن أعمالنا ونُحسِن إسلامنا ونفوض لله أمرنا. ونُحاسب أنفسنا قبل أن نُحاسب من الله.

إن كتابنا «**رحلة داخل القبر**» كتاب شيق وجميل لأنه يعيش معك فى دنياك ويريك ماذا ستكون عليه فى أُخراك.. أسأل الله أن ينفعنا وإياكم بما فيه. وأن يتقبل عملنا خالصًا لوجهه الكريم. إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

محمد الصايم

المعادى ت: ٥١٩١٤٣٥

الفصـــل الأول

الموت والبعث وحقيقتهما

- المــوت
- البعث

الـمــوت

الموت حقيقة لا ريب فيها، آتٍ لا محالة واقع لا مفر منه، واعظ لا شك فيه، هو مصرع كل إنسان، ومرجع كل كائن، ومآب كل فان، فلا حياة لأحد، ولا خلود على ظهرها لأحد.. قال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(1).

فالموت مصير كل حي، مهما كانت سلطته، ومهما كانت قوته، ومهما كان جبروته، ومهما كان منصبه، فالموت لا يعرف هذه المناصب، ولا هذه الألقاب قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾(2).

فالموت ليس بعدم محض، ولافناء صرف، إنما هو انتقال تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وتبدل حال. وانتقال من دار إلى دار.. يقول ابن القيم رحمه الله: جعل الله سبحانه الدور ثلاثًا: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار. وجعل لكلٍّ أحكامًا تختص بها..

فالموت حقيقة لا خيال، وواقع لا محال، وهو أمر حادث لكل المخلوقات على هذا الكوكب الأرضى، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(3).

وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(4).

لقد حكم الله تعالى على كل ذى روح من مخلوقاته بالموت، لأن الله عز وجل هو الباقى، وساوى فيه بين جميع الطبقات، وكل الفئات، فكلٌّ مُصيبه الموت.

---

(1) سورة الزمر: ٣٠.

(2) سورة العنكبوت: ٥٧.

(3) سورة الأعراف: ٣٤.

(4) سورة الرعد: ٣٩.

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾(٢).

والموت لا شك أنه مصيبة كما سماه الله عز وجل. لما فيه من فراق الأحبة، وتوديع الأخوة، ولما فيه من ترك ومفارقة المال والولد والجاه والسلطان ولما فيه من المعاناة- معاناة سكرات الموت- لأجل ذلك، وغيره سماه الله تعالى مصيبة.. قال تعالى﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾(٣).

فلا يستطيع أحد مهما أوتى من علم، ومهما أوتى من جبروت أن ينكر هذا الواقع المشاهد المحسوس، هذه الحقيقة التى ما يمر يوم من أيام دهرنا إلا ولنا فيه حبيب نفارقه، وصديق نودعه، ورفيق إلى قبره نلحده، والذى إما إلى الجنة أو إلى النار مصيره، من أجلب ذلك كله، ما يستطيع كائن من كان أن يُنكر حقيقة الموت، ولكن الشيطان يغرر بهم، يُمنيهم بطول العمر، ودوام الصحة، حتى يجعلهم يغفلون عن هذه الحقيقة، وهذا التغافل يؤدى بهم حتمًا على المصير السيئ، وإلى المآب الوخيم، يُؤجّلون التوبة، يتمادون فى العصيان، يُصرون على المعصية، يظلمون، يتكبرون، يتجبرون، يأكلون أموال الناس ظلمًا وعدوانًا بالباطل، مُتناسين فى وسط ذلك كله المصير الحتمى، والمآب الطبيعى إذ هو نهاية كل حى.. قال تعالى على لسان الخبيث عليه لعنة الله:

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾(٤).

(١) سورة الرحمن: ٢٦-٢٧. (٢) سورة القصص: ٨٨.
(٣) سورة المائدة: ١٠٦. (٤) سورة النساء: ١١٧: ١٢٠

هكذا يفـعل الشـيطان بأوليـائه، ولكن لماذا لا تكون دائمًـا على أهُبـة الاستعداد لهذا اليوم الذى لا مفر منه؟ ولتسأل نفسك أين آبائى وأجدادى؟

أين الأحباب والأصـحاب؟ أما استـيقظت يومًا على خبـر وفاة صديق لك، أو ربما قـريب لك، لم يعـانى مـن مـرضٍ، ولم يُعـانى من ألمٍ، ولم يصطدم بسيارة أخرى، فى حادث مـروع، بل كنت جليسه بالأمس، وودعته وهو فى صحة وعافية؟ جاءك الخبر صباحًا بوفاته تعجبت وضربت كفًّا بكف وتقول: يا سبحـان الله!! لقد كنت معه بالأمس، لقد كان فى صـحة جيدة، ما الذى حدث؟

لم يحدث شىء سوى إرادة الله عز وجل، لم يحدث شىء سوى انتهاء أجله، فلا تتعجب لأنها إرادة الله، فهلاَّ أخذت من هذا أو مثل هذه الحوادث التى إن لم تكن حـدثت لك فلا شك أنهـا حدثت لصـديق لك، أو لجارك، وقص عليك القصة، فـهلاَّ تيقنت من حقـيقة وقوع الموت، ومجـيئه فى أىَ لحظة، دون استئذان، أو مقدمات.. قال تعالى

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾(١).

قال سلمان الفارسى- رضي الله عنه-:

ثلاث أعجـبتنى حتى أضـحكتنى: مُؤمل الدنيا والموت يطلبـه، وغافل ليس يُغـفل عنه، وضاحك ملءَ فـيه لا يدرى أسـاخط رب العالمين علـيه أم رضى عنه.. وثلاث أحـزنتنى حتى أبكتنى: فـراق الأحبة مـحمـد وحزبه، وهول المطلع، والـوقـوف بين يدى الله ولا أدرى إلى الجنة يـؤمـر بى أم إلى النار!!

فالعُـمر مـهما طال لابـد من الموت، ولابد من دخول القـبر، لأنه هو المستقر، إلى أن ينفخ فى الصور، قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّـذِي تَفِـرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّـهُ مُلاقِيكُـمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِـمِ الْغَيْـبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٢).

---

(١) سورة النساء: ٧٨. (٢) سورة الجمعة: ٨.

ولله در القائل: [1]

الموتُ لا والداً يُبـقى ولا ولـدا
هذا السـبيل إلى أن لا ترى أحـدا

كـان النبى ولـم يَخلُـد لأمـتـه
لـو خلّـد خلقـاً قـبلـه خَلُـدَا

للمـوت فينا سِـهام غـيرُ خاطئة
من فـاته اليوم سـهمٌ لم يفُـتـهُ غـدا

روى عن إبراهيم بن أدهم -رحمه الله تعالى- أنه قيل له: لو جلست حتى نسمع منك شيئًا، فقال: إنى مشغول بأربعة، فلو فرغت منها لجلست معكم قيل: وما هى؟ قال:

أولها: أنى تفكرت فى يوم الميثاق، حين أخذ الميثاق من بنى آدم، قال الله جل جلاله وتقدست أسماؤه- «هؤلاء فى الجنة ولا أبالى، وهؤلاء فى النار ولا أبالى، فلم أدرِ من أى الفريقين كنت أنا»..

ثانيها: تفكرت بأن الولد إذا قضى الله تعالى بخلقه فى بطن أمه، ونفخ فيه الروح، فقال الملك الذى وكل به: «يارب أشقى أم سعيد؟» فلم أدر كيف خرج جوابى فى ذلك الوقت.

ثالثها: حين ينزل ملك الموت. فإذا أراد أن يقبض روحى فيقول: يارب أمع المسلمين أم مع الكافرين؟ فلا أدرى كيف يخرج جوابى؟

رابعها: تفكرت فى قول الله سبحانه وتعالى:

﴿**وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ**﴾[2]. فلا أدرى من أى الفريقين أكون؟..

---

(1) ديوان الإمام على -كرم الله وجهه-.
(2) سورة يس: ٥٩.

ولله در القائل:

لا تـأمـن المـوت فـى طـرْقٍ ولا نَـفَـس
ولوْ تمـنعتَ بـالحـجـاب والحـرس

واعلـم بأن سـهـام الموت نـافـذة
فى كـل مُـدَّرعٍ مـنا ومُـتَّـرِسِ[1]

ترجـو النـجـاة ولـم تسلك مـسـالكهـا
إن السـفـينة لا تجـرى على اليَـبس[2]

(١) مدرع لابس الدرع. مترس حامل الترس.

(٢) ديوان الإمام على -كرم الله وجهه-.

البعــث

البعث هو من الحقائق التى لا ينكرها إلاّ كافـر، لأنه أنكر شيئًا معلومًا من الدين بالضرورة، فالبعث حقيقة -أيضًا- لا مراء فيها، واقع لا ريب فيه، ولقـد دلت الآيات القرآنيـة الكثيـرة على هذ الحـقيـقة، وثبت- أيضًـا- فى الأحاديث الصـحيحة مـا يؤكد ذلك ويؤيده، ووافق ذلك إجماع الأمـة سلفًا وخلفًا. . وها هو القرآن الكريم يتحدث إلى المعـاندين المنكرين لهذه الحقيقة، فيقول تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾(١).

فالبعث: هو إحياء الله تعالى الناس بعد موتهم، وإخراجهم من قبورهم للحساب. . ونرسل إلى مكـذبى البعث بهذا الحديث القدسى الذى قـال فيه رب الأرباب ومجرى السحاب سبحانه وتعالى:

«كذبـنى ابن آدم ولـم يكن له ذلك، وشتـمنى ولم يكن له ذلك، فـأما تكذيبه إياى فقوله: لن يعـيدنى كما بدأنى، وليس أول الخلق بأهون علىّ من إعادته، وأما شـتمه إياى فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحـد الصمد، لم ألد ولم أُولد ولم يكن لى كفوًا أحد»(٢).

لا شك أننا لو تدبرنا معانى هذا الحديث، وفهمنا عباراته، ما بقى شك

---

(١) سورة الحج: ٥.

(٢) البخارى.

لمرتاب، والآيات التى قرأناها.. آنفًا- وضحت ذلك المعنى، وبينت أن ذلك الأمر ليس ببعيد على قدرة من خلقك من عدم، فكيف يصعب عليه مجرد إعادة روحك وجسدك؟! ثم الله عز وجل يؤكد هذه القضية فى تذييل الآيتين اللتين جاءتا بعد هذه الآية، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾[1].

فعن لقيط بن عامر أنه قال: يارسول الله أكلنا يرى ربه -عز وجل- يوم القيامة، وما آية ذلك فى خلقه؟ فقال رسول الله -ﷺ-: **«أليس كلكم ينظر إلى القمر مخليًا به؟»** قلنا: بلى، قال: فالله أعظم.. قال: قلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه؟ قال: **«أما مررت بوادى أهلك ممحلا؟»** قلت: بلى. قال: **«ثم مررت به يهتز خضراً»** قلت: بلى، قال: **«فكذلك يحيى الله الموتى، وذلك آيته فى خلقه»**[2].

وهذه قصة لنأخذ منها درسًا وعبرة، ونخرج منها بفائدة جلية، هذا مشرك يسأل رسول الله -ﷺ- مستهزأً منكرًا قضية البعث، وهذه القصة كانت سببًا فى نزول الآيات الأخيرة فى ختام سورة «يس». قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[3].

جاء فى تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى-: قال مجاهد وعكرمة: جاء (أُبى بن خلف) لعنه الله، إلى رسول الله -ﷺ- وفى يده عظم رميم، وهو يفته ويذروه فى الهواء، وهو يقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال

---

(١) سورة الحج: ٦-٧.
(٢) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود.
(٣) سورة يس: ٧٧-٨١.

-ﷺ-: «نعم يُميتك الله تعالى، ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار»، ونزلت هذه الآيات من آخر يس ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

ولله در القائل:(١)

إلى متى أنت فى توان	تجرى إلى الهو فى عَنان
الموت حق لا ريب فيه	مالك في رفعه يدَانَ
والبعث من بعده تراه فى	غاية البعد وهو دانَ
يوم يقوم العباد كلٌ	عليه فى الحشر شاهدانَ
إلى حساب قد سطرته	الأقلام يُمليه حافظان
ثم يضم العباد بعد الحساب	فى الحشر منزلان
منزلُ خوف لا أمن فيه	ومنزل الأمن والأمان

فالبعث- عبد الله- يتم عندما يأمر الله عز وجل إسرافيل- الملك الموكل بالصور- أن ينفخ فى الصور نفخة البعث والإحياء من القبور، فتخرج الأرواح من الصور بإذن ربها، وتذهب كل روح إلى جسدها.. قال تعالى مخاطبًا الكافرين الذين أنكروا البعث:

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٢).

إذن من كل هذه الأدلة السابقة من كتاب وسنَّة وإجماع ونُقول عن بعض الصالحين نستطيع أن نجلى هذه الحقيقة أمام المنكرين.

---

(١) كتاب التذكرة فى الوعظ للإمام ابن الجوزى.

(٢) سورة التغابن: ٧.

الفصل الثانى

الاستعداد للموت

- حب الدنيا.
- المعاصى وقبح آثارها.
- التوبة.

حب الدنيا

الموت قادم، الأجل آت، صعود الروح إلى بارئها عاجلاً أم آجلاً لا محالة نافذ، ولا يستطيع كائن من كان، أن يدفع عنك هذه المصيبة، وأن يعقد لك صلحًا مع ملك الموت لتأجيل قبض الروح، ولا تستطيع مهما أوتيت من مال أن تدفع له رشوة ليرفق بك، عند نزعه لروحك، ولا تستطيع مهما أوتيت من قوة أن تدفعه عنك، ولا تستطيع مهما أوتيت من سلطة أن تأمر جنودك أو خدامك أو حراسك أن يمنعوه عنك، ومهما أوتيت من خبث ومكر ودهاء، لا تستطيع أن تجد حيلة للخلاص منه..

إذن فما هو الحل - عبد الله-؟ الحل بيدك والأمر بناصيتك، وهذه وصية نبيك -ﷺ- كن منفذًا لها فهي العلاج- هي الدواء، هي الحل، عن ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: أخذ رسول الله -ﷺ- بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل[1]! وكان ابن عمر -رضي الله عنهما- يقول: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك..

إذن الحل هو الاستعداد لهذا اليوم، الاستعداد ليوم الرحيل، التأهب ليوم المسير، يوم فراق الأهل والأحباب، يوم توديع الجيران والأصحاب، هل تدري -عبد الله- ما يأتيك أجلك؟!

إذا كنت وقت قرب أجلك، ووقت حضور منيتك، فاعمل ما شئت، وقبل الرحيل اعمل الصالحات، ولكن هيهات.. هيهات.. لا أحد مهما كان، حتى أفضل خلق الله- عز وجل- نبينا -ﷺ- لم يعلم لحظة الوفاة، ولم يدري وقت المنية.. فإذا كنت لا تدري فيجدر بك أن تستعد، لأنك لا تعلم متى تموت؟

---

(١) رواه البخاري.

عن عمـرو بن ميمون بن مـهران -رضي الله عنه- أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال لرجل وهو يعظه: **«اغتنم خـمسًا قبل خمس: شـبابك قـبل هرمك، وصحـتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك»**[1].

فالدنيا دار ممر، والآخرة دار مقـر، والعاقل من تزود من دنياه لآخرته، وعمل لما بعد موته، فإياك والركـون إلى الدنيا، وحب الدنيا. فهى رأس كل خطيئة، قال تعالى:

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[2].

فالدنيـا دار ابتلاء، ودار عمل، ولكن الآخـرة هى دار الجزاء، ولذلك قال الله تعالى فى الآية التى تليها:

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3].

عن أبى سعيد الخدرى -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: إن الدنيا حُلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء...[4]

ولقد حذر الله عـز وجل عباده من الاغترار بزهرة الدنيا، وزخـارفها، حتى لا يركن إليها أحد فقال تعالى:

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[5].

وحتى لا يطمـئن الناس إليهـا، ويركنوا إليهـا فينسـوا مع ذلك الهدف الأسمى، والغاية العظمى التى خُلقوا من أجلها. قال تعالى:

---

(١) صحيح.
(٢) سورة غافر: ٣٩.
(٣) سورة غافر: ٤٠.
(٤) رواه مسلم.
(٥) سورة الحديد: ٢٠.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[1].

من أجل ذلك فقد ضرب الله لهم الأمثلة، وبين لهم حقيقة هذه الفانية الفاتنة. قال تعالى:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾[2].

عبد الله..

دع الحرص على الدنيا	وفى العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال	فلا تدرى لمن تجمع
ولا تدرى أفى أرضك	أم فى غيرها تُصرع
فإن الرزق مقسوم	وسوء الظن لا ينفع
فقير كل من يطمع	غنى كل من يقنع

وتدبر معى هذا الحديث كى تكون على استعداد للحظة الموت، وحتى تكون معرضًا عن الدنيا.

عن أبى موسى الأشعرى -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **«من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى»**[3].

وانظرى معى إلى حقارة الدنيا عند الله -عز وجل- وقلّتها.. فعن سهل بن سعد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء»**[4].

---

(١) الذاريات: ٥٦-٥٨. (٢) الكهف: ٤٥- ٤٦.

(٣) رواه أحمد. (٤) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

فالدنيا -عبد الله- إنما هى وسـيلة، وليست غاية، وسيلة للوصول إلى مرضات الله وجناته.

فإياك أن تُعمر فيها، لأنك مهما طال بك العمر فلابد من الموت، وإياك أن تغتر بما أنعم الله عليك من نعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة، فكل ذلك إلى زوال، وكله إلى فناء، ليس هذا فـحـسب، ولكنك ستـحـاسب عليه، قـال تعالى:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾(١).

فكل ما سبق لا يعدو أن يكون مجرد زينة، ولا قيمة له، إذا أنت أتيت الله بلا حسنات، ولا وزن لـهذه الأشيـاء إذا وقفت بين يدى الله ذليـلاً نادمًا ولذلك يذكِّر الله -عز وجل- عبـاده بما أعده للطائعين المتقين، حتى لا يُؤمل الناس فى المقام فى الدنيا.

قال تعالى:

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِيـنَ اتَّقَـوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْـرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(٢).

ولنا فى رسولنا قدوة صالحة، وأسوة حسنة، فهو الذى كان معرضًا عن الدنيا أشد الإعـراض، وكان زاهدًا فيها أشـد الزهد، وهنا نحب أن نُنبه على أن الإسلام لا يمـنع من التمـتع بمتع الحيـاة المختلفـة، ولكن الإسلام كـل ما يطالب به هو التزود للآخرة، وهاهو النبى -ﷺ- يوصينا فيقول:

«كلوا واشـربوا والبـسـوا وتصدقـوا فى غـيـر إسراف ولا مـخـيلة»..

فالإسلام يطالبنا بعدم الحرص على الدنيا، ولقد ضرب لنا النبى -ﷺ- المثل الأعلى فى ذلك، روى ابن عبـاس -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- دخل عليه

(١) سورة آل عمران: ١٤.
(٢) سورة آل عمران: ١٥.

عمر، وهو على حصير قـد أثر فى جنبه. فقال: يا رسول الله.. لو اتخذت فراشاً أوثر(١) من هذا؟ فقال: مالى وللدنيا، وما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف(٢)، فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها»(٣).

فالدنيا عبـد الله- فانية فاتنة، لا أمان لها، سـريعة التقلب، ولا يُؤَمّل فيها إلاّ من فقد وعيه، وأضل سعيه، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -ﷺ-: **«الدنيا دار من لا دار له. ومـال من لا مال له، ولهـا يجمع من لا عقل له»**(٤).

واعلم -عـبد الله- أن حب الدنيـا لا شك أنه سـيجـرك إلى معـاصى كثيرة، وإلى ذنوب وفيرة، ولكنك ما أحببت الدنيا، إلاّ ونسيت الآخرة، وما دمت نسـيت الآخـرة، سيـجـركَّ هذا إلى الاجـتراء على المـعاصى، وعـدم الاستـعداد للموت، الذى هو المصـير الحتـمى، الذى لا مناص منه، فتـعالى لنعرف كيف تفعل الذنوب والمعاصى بأهلها؟

---

(١) لين. (٢) شديد الحر.
(٣) رواه احمد. (٤) رواه البيهقى.

المعاصى وقُبح آثارها

الذنوب ضررها خطير، كضرر السموم فى الأبدان، فالمعاصى هى التى تبعد عن ساحة الحق وتنأى بك عن رحاب الهُدى، وكل بلاء على الأرض، وكل مصيبة سببها المعاصى.

فعن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «**إذا ظهرت المعاصى فى أُمتى عمهم الله بعذاب من عنده**»، فقلت: يا رسول الله أماَ فيهم يومئذ أناس صالحون؟ قال: «بلى». قلت: فكيف يصنع بأولئك؟ قال: «**يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان**»(1).

يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله-: فمما ينبغى أن يعلم أن الذنوب والمعاصى تضر، ولابد أن ضررها فى القلب، كضرر السموم فى الأبدان على اختلاف درجاتها فى الضرر، وهل فى الدنيا والآخرة شر وداء إلاّ سببه الذنوب والمعاصى؟ فما الذى أخرج الأبوين من الجنة، دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور، إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟.. ومن الذى أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه، ومسخ ظاهره وباطنه، فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبُدل بالقُرب بُعدًا، وبالرحمة لعنة، وبالجمال قبحاً، وبالجنة نارًا تلظى، وبالإيمان كفراً، وبموالاة الولى الحميم أعظم عداوة ومشاقة، ويزجل التسبيح والتقديس والتهليل زجل الكفر، والشرك والكذب والزور والفحش، ويلباس الإيمان لباس الكفر والفسوق والعصيان، فهان على الله غاية الهوان، وسقط فى عينيه غاية السقوط، وحل عليه غضب الرب تعالى فأهواه. ومقته أكبر المقت

---

(1) مسند الإمام أحمد.

فأرداه، فصار قوادًا لكل فاسق ومجرم رضى لنفسه بالقيادة، بعد تلك العبادة والسيادة، فعياذًا بك اللهم من مخالفة أمرك، وارتكاب نهيك.. وما الذى خسف بقارون وداره، وماله، وأهله؟! وما الذى أغرق فرعون وقومه فى البحر، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟[1].

فإذا تفكرت -عبد الله- قليلاً، وتدبرت، وتذكرت كل هذه الأحداث وغيرها، لعرفت أن كل ذلك هوفعل المعاصى بأهلها، ومن كثرة المعاصى التى نرى فى هذا الزمان، فقد ابتلانا الله -عز وجل- بالأوجاع والأمراض التى لم تكن فى أسلافنا، وابتلانا الله -عز وجل- بغلاء المعيشة، والأوبئة الفتاكة التى لم يسبق لها مثيل، كل ذلك بسبب كثرة المعاصى على وجه الأرض، وكثرة الاجتراء على حدود الله تعالى، فعن أنس بن مالك، أنه دخل على عائشة- هو ورجل آخر، فقال لها الرجل: يا أم المؤمنين حدِّثنا عن الزلزلة؟ فقالت: «إذا استباحوا الزنا، وشربوا الخمور، وضربوا بالمعازف غار الله عز وجل فى سمائه، فقال للأرض: تزلزلى بهم، فإن تابوا ونزعوا، وإلاّ هدمها عليهم، قال: يا أم المؤمنين، أعذابًا لهم؟ قالت: بلى: موعظة ورحمة للمؤمنين، ونكالاً وعذابًا وسخطًا على الكافرين، فقال: أنس: ما سمعت حديثًا بعد رسول الله -ﷺ- أنا أشد فرحًا به منى بهذا الحديث»[2].

وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «توشك القرى أن تخرب، وهى عامرة؟ قيل: وكيف تخرب وهى عامرة؟ قال: إذا علا فجّارها أبرارها وساد القبيلة منافقوها».

وها هو النبى -ﷺ- يحذر أمته من عمل المعاصى، ومن ارتكاب الذنوب، لأن هذه الذنوب تصنع حاجزًا على قلب المؤمن، فعن أبى هريرة

---

(١) كتاب الداء والدواء بتصرف وتلخيص.

(٢) ذكره ابن أبى الدنيا.

-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ- «إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا نكت فى قلبه نكتة سوداء، فإن تاب، ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذى ذكره الله عز وجل فى قوله: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُون﴾[1].

ولله در القائل:

رأيت الذنوب تميت القلوب	وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب	وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلاّ الملوك	وأحبار سوء ورهبانها؟

ولله در القائل وهو بلال بن سعد: لاتنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت!!

عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن- يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه، وإن رسول الله -ﷺ- ضرب لهن مثلا. كمثل قوم نزلوا إلى أرض فلاة، فحضر ضيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سوادًا وأججوا نارًا، وأنضجوا ما قذفوا فيها»[2].

وهذه وصية لك -أخى الحبيب-:

إذا كنت فى نعمة فارعها	فإن الذنوب تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد	فرب العباد سريع النقم

واعلم -أخى الحبيب- أن المعاصى سببًا رئيسيًا فى توراث الذل، وإفساد العقل، والطبع على القلب، وإدخالك تحت لعنة الرسول -ﷺ- وحدوث الفساد فى الأرض، والخسف والزلازل وذهاب الحياء، وغير ذلك كثير ولسنا بصدد الحديث عن ذلك كله ولكن أردنا ثمة التنبيه على إخواننا فى خطر هذه المعاصى، وخاصة أننا بصدد الحديث عن «الواعظ الصامت»

(١) سورة المطففين: ١٤، الترمذى وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه الإمام أحمد.

وهو الموت، وسبب إدراج هذه الفقرة من بين فقرات الكتاب لما لها من أهميـة، وهذه الأهمية وخاصة التى تتعلق بموضـوعنا، وهى أن الذنوب قد تكون سببًا فى سوء الخاتمة- والعياذ بالله، لأنه كما نعلم جميعًا أن المرء يبعث على الحالة التى مات عليها، فمن مات على معصية والعياذ بالله. بُعث وهو على تلك الحالة.. فكن على حذر -عبد الله- وإياك والتمادى فى هذه المعاصى، فإنها تحول بينك وبين رحمة الله، وإياك والقنوط من رحمة الله، وإياك واليأس من روح الله، فباب التوبة مفتوح...

التــوبـــة

الله.. الله.. الله فى الرجــوع إلى الله، الله... الله.. فـى التــوبة والإنابة لله، الله.. الله فى الإخبات لله وطاعته، فما أجمل من رحاب الله، ومـا أوسع من رحمـة الله، وما أفـضل من جناب الله، ومـا أرحم من الله، واليأس كل اليأس فى البعد عن الله، والقنوط كل القنوط فى إرضاء غير الله، والذّل كل الذّل فى مـعصـيـة الله، ومن ثم -أيضًا- فـإن الاكـتئـاب والقلق والاضطراب، وبغض الناس فى بُعدك عن رحاب ربك. ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِــي أَيِّ صُــورَةٍ مَّـا شَـاءَ رَكَّبَـكَ﴾[1]. ثم بارزته بالمعاصى فى خلوّاتك، ولم تهتم بنظره إليك، ولم تكترث برؤيته لك، ولم تُلق بالاً لعلمه بخـائنة عيـنك، وما يخـفى صـدرك، فبـادر إلى باب ربك، وأخلص النيـة وأحسن التوبة، ستجد ربك..

﴿إِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[2].

تزود للذى لابـد منـــه ... فإن الموت ميقـات العبــاد
وتب مما جنيت وأنت حى ... وكن منتبهـًا قبل الرّقـــاد
ستندم إن رحلت بغيـر زاد ... وتسقى إذ يناد بك المنــادى
أترضى أن تكون رقيق قوم ... لهم زاد وأنت بغيــر زاد؟!

وها هو ربك ينادى عـليك، ويطالبك بالتـوبة، ويـعـدك عليـهـا ثوابًا عظيماً، وفضلاً عميمًا، وربك لا يخلف وعده أبدًا.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ

---

(١) سورة الانفطار: ٧-٨.

(٢) سورة طه: ٨٢.

وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

وفى الحديث عن صفوان بن عسال المرادى -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: **«إن من قبل المغرب باب خلقه الله تعالى للتوبة، عرضه مسيرة سبعين سنة، أو أربعين سنة، لا يزال مفتوحًا، لا يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها»**(٢).

لا تيأس مهما فعلت من ذنوب، ومهما ارتكبت من معاصى، ومهما أتيت من جرائم، فالذنوب مغفورة بقدرته تعالى وإرادته. فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: **«إذا أذنب العبد ذنبًا، فقال: رب إنى أذنبت ذنبًا أو قال: عملتُ ذنبًا، فاغفرلى، قال الله تعالى: عبدى عمل ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به، فقد غفرت لعبدى»**(٣).

فيامن تؤمن بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا. وبمحمد -صلى الله عليه وسلم- نبيًّا ورسولاً، وبالقرآن إمامًا وهدى ونوراً، وشفاءً، مادمت تؤمن بذلك، فلا يضرك مافعلت، ولكن لكل إنسان درجات فى الجنة، فقلل من الذنوب حتى تسكن الفردوس الأعلى من الجنة، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾(٤).

هذا بالنسبة للكبائر، فما حال الصغائر؟ عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، إنى لقيت امرأة فى البستان، فضممتها إلىّ وقبلتها، وفعلت بها كل شىء، إلاّ أننى لم أجامعها، فسكت النبى ساعة، فنزلت هذه الآية: **﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾**(٥)،

---

(١) سورة التحريم: ٨. (٢) الترمذى حديث حسن.
(٣) رواه الشيخان -متفق عليه-. (٤) سورة النساء: ١١٦. (٥) سورة هود: ١١٤.

فدعاه النبى -ﷺ- وقرأ عليه هذه الآية، فقال عمر: -رضي الله عنه- يا رسول الله أله خاصة، أم للناس عامة؟! فقال النبى -ﷺ- «**بل للناس عامة**»(١).

إذا تبت -عبد الله- فإنك سوف تحظى بحب الله، ألاَ ترضى أن تحظى بحب الله؟ إذا أردت ذلك فتب، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(٢).

والتوبة -عبد الله- تكون بالاستغفار، فعن عبد الله بن مسعود مرفوعًا: قال: «من قال: أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو.. الحى القيوم وأتوب إليه. ثلاثًا، غفرت له ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر»(٣).

قيل لبعض الحكماء: هل للتائب من علامة يُعرف أنه قبلت توبته؟ قال: نعم. علامته أربعة أشياء:

١- أن ينقطع عن قرناء السوء، ويريهم هيبة من نفسه، ويخالط الصالحين.

٢- أن يكون منقطعًا عن كل ذنب، ومقبلاً على جميع الطاعات،.

٣- أن يذهب عنه فرح الدنيا كلها من قلبه، ويرى حزن الآخرة كلها دائمًا فى قلبه.

٤- أن يرى نفسه فارغًا عما ضمن الله تعالى له من الرزق، مشتغلاً بما أمره به، فإذا وجدت فيه تلك العلامات فهو من الذين قال الله فيهم: ﴿**إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**﴾.

ووجب له على الناس أربعة أشياء:

١- أن يحبوه، فإن الله تعالى قد أحبه.

٢- أن يحفظوه بالدعاء. على أن يثبته الله على التوبة.

٣- أن لا يعيزوه بما سلف من ذنوبه.

---

(١) متفق عليه.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٣) رواه الحاكم حديث حسن.

٤- أن يجالسوه ويذاكروه، ويعينوه.

ويكرمه الله تعالى بأربع كرامات:

١- أن يخرجه الله تعالى من الذنوب، كأنه لم يذنب قط.

٢- أن يحبه الله تعالى.

٣- أن لا يسلط عليه الشيطان، ويحفظه منه.

٤- أن يؤمنه من الخوف، قبل أن يخرج من الدنيا، فإن الله عز وجل قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾(١).

إذا كنت صادق العزم، قاصد التوبة، مخلص النية، قم وانهض إلى ربك، واعتذر له. توضأ وأحسن الوضوء، واستقبل القبلة- بيت ربك الحرام- وانو صلاة ركعتين لله بنية التوبة، بعدها انظر إلى تبدل حالك، وتغير أوضاعك، وحُسن سيرك وسلوكك، واطمئن إلى قبول عملك، ولا تيأس من كثرة ذنوبك.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٢).

بعدما فعلت ما سبق أن ذكرناه لك من الصلاة، احرص بعد ذلك على أوامر الله، واجتنب ما نهاك عنه الله، وحتى تكون على يقين من صحة ماذكرناه، لك، وحتى تسرع فى المبادرة إلى هذا العمل، نبيك -ﷺ- يحدثك بهذا الحديث. فعن على بن أبى طالب -كرم الله وجهه-. أنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله -ﷺ- شيئًا نفعنى الله به ما شاء الله فإذا حدثنى غيره حلفته، فإن حلف صدقته وحدثنى أبو بكر -رضي الله عنه- قال: قال

---

(١) سورة فصلت: ٣٠.

(٢) سورة الزمر: ٥٣.

رسول الله -ﷺ-: «ما من عبد يذنب ذنبًا، فيتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين، ويستغفر الله، إلاَّ غفر الله له، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

وفي رواية أخرى تلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[2].

فبادر إلى التوبة -عبد الله- قبل أن يأتيك ملك الموت، وأنت على حالة سيئة، فيختم لك بها، عندها، تكون قد خسرت الدنيا والآخرة، ألا ذلك هو الخسران المبين.. وكن ممن قال فيهم الشاعر:

إن لله عبـــــادًا فطـــــنا	طلقوا الدنيا وخافوا الفتـــنا
نظـروا فيـها فلمــا علمــوا	أنهــا ليســت لحــيّ وطــنا
جعلـــوها لجــة واتخـــذوا	صالح الأعمــال فيــها سُفُــنا

(١) سورة النساء: ١١٠.

(٢) سورة آل عمران ١٣٥، ١٣٦. رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

الفصل الثالث

بين يدى الموت

- علامات الموت.
- سكرات الموت.
- ملك الموت.
- ماذا يجب فعله للميت؟

علامات الموت

يا الله، يا لها من لحظات صعبة، يا لها من دقائق شديدة، سكن الجسد، اصفر الوجه، غارت العينان، يبست الشفتان، ثقلت اليدان، تخشبت الرجلان، تحشرج النفس، بردت الأعضاء، بدأ الدم يسير ببطء داخل الجسد، لا حركة، لا كلام، لا قوة، لا جبروت، يا الله.. انقطع النفس، انعدمت الحركة.. أحضروا الطبيب، أحضروا جهاز التنفس الصناعى.. لا إله إلا الله إنا لله وإنا إليه راجعون، هكذا قال الطبيب لأهل الميت.. يالله، لحظات حرجة، دقائق صعبة، لو أحس بشدة وقعها كل واحد منا، ما فكر فى العصيان أحد، ما فكر فى الظلم أحد، ما فكر فى التكبر والتجبر أحد، لحظات لو تفكرنا فيها ما نامت العيون، وما هدأت الجفون، وما سكنت الجوارح عن العبادة، بالأمس كنت وكنت وكنت، والآن، لم تكن شيئًا، منذ ساعات كنت مستور العورة، والآن أصبحت مكشوف العورة، منذ ساعات كنت بصحتك وقوتك، والآن أنت جثة هامدة فى يد المغسل، وفى يد الحاضرين، منذ ساعات كنت البيه أو الباشا الفلانى، والآن أنت المرحوم الفلانى، منذ ساعات كنت ذا رأى ونفوذ، والآن تُقلبك الأيدى كيفما شاءت.. فها هى ذى علامات الموت ومنها:

١- برودة الجسد، وانخفاض حرارة البدن، حيث تهبط درجة مئوية فى الساعة.

٢- نقص وزن الجثة، بسبب نقص مائها.

٣- اتساع حدقتى العينين وعدم تأثرهما بالضوء وهذا هو شخوص البصر الوارد فى الحديث الشريف الذى يرويه أبو هريرة -رضي الله عنه- حيث يقول: قال رسول الله -ﷺ-: **«ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره؟**

قالوا: بلى!! قال: «فذلك حين يتبع بصره نفسه»[1]. ثم تغور العينان، وتفقدان بريقهما.

٤- فقدان كل من: مرونة الجلد. والحس.

٥- توقف القلب، ويعرف ذلك بانعدام النبض فى معصم اليد.

٦- توقف النفس، ويعرف ذلك بانعدام الحـركات فى الصدر، والبطن ويمكن التأكد من وقوفه. إذا وضعنا سطح المرآة أمام الأنف والفم، ولم تتشكل عليه طبقة ضبابية[2]..

وفى المغنى لابن قدامه: ومن علامات الموت

١- استرخاء رجليه.

٢- انفصال كفيه.

٣- وميل أنفه.

٤- امتداد جلدة وجهه- أى ترهلها.

٥- انخساف صدغيه.

وكل هذه علامات تتوافر فى كل من يذوق طعم الموت[3]..

ويصور لنا الله -عـز وجل- هذا الموقف الرهيب. هذا المشهـد المهيب، فيقول تعالى:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾[4].

---

(١) رواه مسلم «كتاب الجنائز».

(٢) نقلا عن كتاب الموت فى الفكر الإسلامى د/ عبد الحى الفرماوى.

(٣) نفس المرجع السابق.

(٤) سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٤.

سكـرات الـمــوت

إذا بدت العلامات التى ذكرناها -آنفًا- على جسد الشخص، فهو يعانى من سكرات الموت، ومما يجب أن يُعـلم أن للموت سكرات يُـعانى منهـا كل إنسان، فى لحظة الاحتضار، ولكن كل إنسان يعانى منها على حسب حالته، من الطاعة والعصيان، والكفر والإيمان، قال تعالى:

﴿ لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾(1).

فكل يعاين سكرات الموت على حسب حاله، وعلى حسب قربه من الله -عز وجل-، وها هو ربنا -سبحانه وتعـالى- يذكرنا ويحذرنا ويأمرنا أن نعد العدة، لمثل هذه اللحظات، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْـنُ أَقْرَبُ إِلَيْـهِ مِنْ حَبْـلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيـدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَـوْتِ بِالْحَـقِّ ذَلِكَ مَا كُنـتَ مِنْهُ تَحِيـدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾(2).

فالموت له سكرات، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: **«إن العبد ليـعالج كرب الموت، وسكرات الموت، وإن مفاصله ليُسلم بـعضها على بعض تقول السلام عليك تفارقنى وأفارقك إلى يوم القيامة»**(3).

قال شداد بن أوس: يصف لنا آلام سكرات الموت، وشدة نزعاته..:

الموت أفظع هول فى الدنيـا والآخرة عـلى المؤمن، وهو أشد من نشـرٍ

---

(1) سورة الحشر: ٢٠.

(2) سورة ق: ١٦-٢٠.

(3) ذكره العراقى فى تخريج الإحياء (٤/ ٣٦٣).

بالمناشير، وقرض بالمقاريض، وغلى فى القُدور، ولو أن الميت نُشر، فأخبر أهل الدنيا بالموت، ما انتفعوا بعيش، ولا لذوا بنوم(١)..

روى جعفر بن محمد عن أبيه قال: نظر رسول الله -ﷺ- إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار، فقال النبى -ﷺ-: «**ارفق بصاحبى فإنه مؤمن، فقال ملك الموت: عليه السلام: يا محمد طب نفسًا، وقر عينًا، فإنى بكل مؤمن رفيق، واعلم أنه ما من أهل بيت مُدد ولا شعر فى بَر ولا بحر إلاّ وأنا أتصفحهم فى كل يوم خمس مرات، حتى لأنا أعرف بصغيرهم وكبيرهم من أنفسهم، والله يا محمد لو أنى أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها**»(٢)..

ليس معنى هذا أن المؤمن لا يعانى من شدة سكرات الموت، ولكن بالمقارنة بخروج روح الكافر، أو بسكرت الموت التى يُعانى منها الكافر، سيكون المؤمن أخف بكثير، ولكن كل واحد يعانى من هذه السكرات، وحتى المصطفى -ﷺ- لم يسلم من هذه السكرات، فما بالنا نحن، وحالنا لا يَخفى على الله، وعجزنا ظاهر بين يديه، وتقصيرنا واضح لديه، هلاّ تدبرنا ذلك الموقف، أفضل خلق الله أجمعين، وسيد الأنبياء والمرسلين يعاين سكرات الموت وها هو يصفها لنا، ليتنا نتذكر هذا الموقف.

عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: «رأيت رسول الله -ﷺ- وهو بالموت، وعنده قدح فيه ماء، وهو يُدخل يده فى القدح، ثم يمسح وجهه بالماء، ثم يقول: «**اللهم أعنى على غمرات الموت، أو سكرات الموت**»(٣)..

يا الله إذا كان النبى -ﷺ- وهو الذى تقول له السيدة عائشة -رضي الله عنها- ذات يومٍ هون على نفسك يا رسول الله، قالت له ذلك: عندما رأت رجلاه، تورمت من القيام وكثرة الصلاة، وكثرة الصلاة بالليل والناس نيام، تقول له: يا رسول الله أليس الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فيقول لها -ﷺ-: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»..

---

(١) إحياء علوم الدين. (٢) التذكرة للإمام القرطبى.

(٣) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن غريب.

ملك الموت

ها هو ملك الموت يقترب من فراش المرض، ها هو ملك الموت أُذن له بقبض روحك، ها هو ملك الموت جاء ليصعد بالأمانة إلى بارئها، ها هو هادم اللذات، مفرق الجماعات، مُيتم الأطفال، مُرمل النساء، ها هو ملك الموت دنا لا يهمه منصبك، ولا مالك، ولا عشيرتك، ولا يهمه جُندك، ولا يهمه ما يُفعل بجوارك من الصياح والنياحة، مكلف بعملٍ، لا يستطيع التوانى عن فعله، ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ صدرت إليه الأوامر الإلهية، فلا يستطيع عصيان الأوامر، مهما كانت الأسباب أو الدوافع، يصور لنا ربنا -تبارك وتعالى- فى كتابه العزيز، هذا الموقف العصيب، وهذا المشهد الرهيب، وهذا المنظر المهيب.

فقال تعالى:

﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾(1).

ومما هو جدير بالذكر، أن هذه اللحظات يستطيع فيها المحتضر أن يعرف مصيره، وأن يعرف مأواه، إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر، يستطيع أن يعرف مرجعه إلى جنات نعيم، أم إلى نار الجحيم، فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: **«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن**

---

(1) سورة القيامة: ٢٦-٤٠.

كره لقاء الله كره الله لقاءه»، قلنا يا رسول الله: كلنا يكره الموت. قال: «ليس ذلك كراهية الموت، ولكن المؤمن إذا حُضِرَ (حضرته الملائكة لقبض روحه) جاءه البشير من الله، فليس شيء أحبَّ إليهَ من أن يكون قد لقى الله، فأحب الله لقاءه، وإن الفاجر أو الكافر إذا حُضِر جاءه ما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقى من الشر، (بأن تخبره الملائكة بغضب الله عليه)، فكره لقاء الله، فكره الله لقاءه»[1]..

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن الميت تحضره الملائكة، فإن كان الرجل الصالح قالوا: أُخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، أُخرجي حميدة وأبشري بروحٍ وريحان ورب غير غضبان، قال: فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيُستفتح لها. فيقال لها: من هذا؟، فيقال فلان، فيقولون مرحبًا، بالروح الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماءً التي فيها الله -عز وجل-. وإذا كان الرجل السوء قالوا: أخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، أخرجي ذميمة وأبشري بحميم (ماء مغلي) وغساق (صديد أهل النار) وآخر من شكله أزواج (أنواع من شكل واحد) فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج. ثم يُعرج بها إلى السماء فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان. فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنه لا تفتح لكِ أبواب السماء، فيُرسل من السماء ثم يصير إلى القبر....»[2].

---

(١) رواه أحمد بإسناد جيد.

(٢) رواه الإمام أحمد.

ماذا يجب فعله للميت؟

(١) تلقينه «لا إله إلا الله»:

فعن أبى سعيد الخدرى -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: **«لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»**[١]. . قال الإمام النووى فى شرح مسلم[٢]: معناه من حضره الميت، والمراد ذكروه: لا إله إلا الله، لتكون آخر كلامه كما فى الحديث الصحيح: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**. .

(٢) توجيهه إلى القبلة:

وذلك بأن يجعل الميت مستلقيًا على ظهره، ويرفع رأسه قليلاً. ليكون وجهه كله جهة القبلة، وأيد بعض الأئمة كونه على جنبه الأيمن، واستدلوا بالأحاديث الصحيحة، التى أمر النبى -صلى الله عليه وسلم- فيها عند النوم بالوضوء وبالاضطجاع على الشق الأيمن، والدعاء ببعض الأذكار، والتى من فضلها: «فإن مت من ليلتك مت على الفطرة، فموته على الفطرة له أسباب ثلاثة هى: الوضوء والاضطجاع على الشق الأيمن، والذكر بالدعاء المأثور». .

(٣) تغميض العينين، والدعاء له ولأهله بخير:

فعن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: دخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على أبى سلمة وقد شق بصره، فأغمضه، وقال: إن الروح إذا قُبض تبعه البصر. فضج ناس من أهله، فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يُؤمنون على ما تقولون، ثم قال: **«اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين، واخلفه فى عقبه فى الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له فى قبره ونور له فيه»**[٣].

---

(١) رواه مسلم. (٢) شرح مسلم جـ٦ ص ٣١٩.

(٣) رواه مسلم.

(٤) استحباب الكلام عند الميت بالخير:

لما روى عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -ﷺ-: **«إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»**، قالت: فلما مات أبو سلمة أتيتُ النبى -ﷺ-، فقلت: يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات، قال: **«قولى اللهم اغفر لى وله، واعقبنى منه عُقبى حسنة»**، قالت: فقلت فأعقبنى الله من هو خير لى منه رسول الله -ﷺ-..

(٥) نهى أهل الميت عن الفزع والجزع:

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: **«ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»**[١]..

عن أبى سعيد الخدرى -رضي الله عنه- قال: «لعن رسول الله -ﷺ- النائحة والمُستمعة»[٢].

وفى حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبى -ﷺ- قال: **«الميت يُعذب فى قبره بما نيح عليه»**[٣]..

وعن أبى موسى الأشعرى -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ-: برئ من الصّالقة (التى ترفع صوتها بالنياحة)، والحالقة (التى تحلق شعرها عند المصيبة)، والشّاقة (التى تشق ثيابها جزعًا وسخطًا)[٤]..

(٦) تغطية الميت وجواز تقبيله:

يُستحب تغطية جميع جسد الميت بعد موته من أعلى رأسه إلى أسفل قدميه، بأى نوع من أنواع النسيج وبأى لون من الألوان، بعد أن تُنزع عنه ثيابه التى مات فيها، وذلك ستراً للميت من أعين الناس، وحتى لا تنكشف عورته، ويجوز كشف وجهه من أجل تقبيله، ثم يُغطى بعد ذلك، والأحاديث فى هذا المجال كثيرة.

---

(١) متفق عليه. (٢) رواه أبو داود.
(٣) متفق عليه. (٤) راجع البخارى ومسلم (كتاب الجنائز).

الفصل الرابع

فى رحاب دار الحق

- الإسراع إلى تجهيز الميت.
- غسل الميت.
- تكفين الميت.
- صلاة الجنازة.
- تشييع الجنازة.
- تلحيد الميت.
- دفن الميت والدعاء له.
- آداب زيادة المقابر.

الإسراع إلى تجهيز الـميت

لقد انتهينا معكم فى الفصل الـسابق مع الأمور التى تحدث للميت قبل موته وإن شئت فقل لحظة موته، لحظة الاحـتضار، والآن نتحدث عن الأمور التى تُطلب من أهل الميت بـعد مـفارقـته روحـه، فأول هذه الأمـور سرعـة تجهيزه، لنقله إلى أصله وأصل خلقته، فـعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: **«إذا مـات أحدكم فـلا تحبـسـوه وأسرعـوا به إلى قبره»**[1]..

وعن على بن أبى طالب -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: **«ثلاث يا علىّ لا يُؤخرن: الصلاة إذا آنت (حان وقتها) والجنازة إذا حضرت، والأيم إذا وجَدَت كفؤًا»**[2]..

ولكن القاعدة المعروفة «الضرورات تبيح المحظورات» يمكن العمل بها -أيضًا- وذلك إذا وجد ثمة داعى لتأخيـر الدفن، كإذا لم يتأكد من موته حتى يحصل التأكد، ومن الأسباب الهامة كـذلك إذا كان هناك ثمة اشتباه فى موته كالقتل أو حدوث حادث معين أو جريمة معـينة، فيجوز فى هذه الحالة تأخير الدفن حتى حضور الطبيب الشرعى لمعرفـة سبب الوفاة، وكذلك يجوز تأخير الدفن حتى حـضور أقرباء المتـوفى، واستدل العلمـاء على جواز ذلك -وهو تأخيـر دفن الميت إذا كان هناك سبب مـا- حيث ثبت أن النبى -ﷺ- مات يوم الاثنين ولم يُدفن إلاّ ليلة الأربعاء، وهو أشهر الآراء...

---

(١) أخرجه الطبرانى بإسناد حسن.

(٢) رواه أحمد.

غُسل الميت

من المصائب التى نعانى منها فى مجتمعنا، أن عملية تغسيل ودفن الموتى، وتلحيدهم، أصبحت مجرد مهنة لا تعدو أن تكون وظيفة لكسب لقمة العيش، وجهلنا بأمور الموت من غسل وكفن ولحد، أدى بنا إلى انتداب أى شخص يقوم بتأدية مهمته مقابل أخذ أجرته، ويعلمُ الله أنه قص علىّ أخ فاضل، وأخبرنى وأنا أعلم أنه صادق، لأنى ما جربت عليه كذبًا، ولا نزكى على الله أحدًا، قال لى: كنت ذات يوم فى مقبرة، وأنا أتبع جنازة أحد الجيران، فناولنى المُلحّد قبل نزوله إلى القبر «عُلبة كبريت» وطلب منى أن أحتفظ بها، فدبّ فى نفسى القلق، وثاورنى الشك، فسرعان ما فتحتُ هذه العلبة، أتدرون ماذا كان بهذه العُلبة؟ لقد كان بها قطعة من «الأفيون»...

يا لله، إنا لله وإنا إليه راجعون، هكذا أصبحت مهنة. ولن تجور على أحدٍ إذا قلنا بأنها أصبحت مهنة حقيرة، لا يمتهنها إلاّ الطبقات الدنية من الناس، فى المقابر وبين الأموات، المكان الذى أمر النبى -ﷺ- بزيارته لترقيق القلوب، وللتزهيد فى الدنيا، ومن يحمل هذه الجريمة، وهذه الكبيرة، إنه المُلحد، إلى هذا الحد وصل الأمر بنا من الاجتراء على حدود الله، ومن الاستهزاء بشرع الله، وكأن هذه أصبحت مجرد عادة، إنسان مات!! ودُفن هكذا انتهت القضية، وكأن الأمر ليس فيه عبرة ولا عظة، ولا فيه إيقاظ وانتباه، بل هو مجرد شىء رحاه يدور على الناس كلهم، وكأسه شارب منه الناس كلهم، ولا عبرة بما يحدث بعد... من أجل ذلك أمر النبى -ﷺ- بحُسن اختيار المُغسل، ففى معنى الحديث الصحيح: **«ليُغسل موتاكم المأمونون»**[1].. ولقد وعد النبى -ﷺ- بثواب عظيم. وأجر عميم لمن يقوم بأداء هذه المهمة على أكمل وجه، ابتغاء مرضات الله تعالى، فعن عائشة -

(١) رواه ابن ماجه.

رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -ﷺ-: **«من غسَّل ميتًا فـأدّى فيه الأمانة، ولم يُفش عليه ما يكون منه عند ذلك، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه»**(١) . .

وعن عائشة -رضي الله عنها- . قالت: قال رسول الله -ﷺ- **«زُر القبور تذكُر بها الآخرة، واغـسل الموتى فإن معالجـة جسد خاو موعظة بلـيغة، وصلّ على الجنائز لعل ذلك أن يُحزنك، فإن الحزين فى ظل الله يتعرض كل خير»**(٢) . .

ولذا يجب على أهل الميت إن يحـسنوا اخـتيـار الـمُغـسل، بأن يكون أمينًا، عالـمًا بفقه الجنائز، وكيفية الغُسل، وليس مجرد رجلٍ يؤدى وظيفة أو عمل مطـلوب منه، وأن يكون رجلاً من أهل الصـلاح والالتزام. وحـبذا لو كان من أقارب الميت. .

والآن جاء دور الحـديث عن كيـفيـة الغُسل وقبل أن نـخوض فى هذا الأمر، هناك بعض التنبهات التى نـحب أن نهمس بها فى أُذن المغسل، وهى باب التذكير.

(١) **الرفق بالميت مـسـتحـب**، فيُـقلَّب عند الغُسل برفق، ويُـغسل بماءٍ مناسب، لا هو حار ولا هو بارد.

(٢) **عـدم إيذائه**، فـلا يجوز كـسـر عظمـه ولا قطع جزء منـه لغيـر ضرورة، فإن إيذاءه ميتًا كإيذائه حيًّا وهو حرام. .

(٣) **عليك بسـتر المـيت قدر المسـتطاع**. وإياكِ والنظر إلى العـورة، أو كشف العورة. .

وأما عن كـيفيـة الغسل: فيوضع الميت فـوق مكان مرتفع، ويجرد من ثيابه، ويوضع عليه ساتر يستر عورته ما لم يكن صبيًّا، ولا يحضر عند غسله إلاّ من تدعو الحاجـة إلى حضوره، وينبغى أن يُسبق العـمل بالنية عليه، لأنه هو المخاطب بالغُـسل، ثم يبدأ بعصـر بطن الميت عصراً رقـيقًا، لإخـراج ما عسى أن يكون بهـا، ويُزيل ما على بدنه من نجاسـة، على أن يلف على يده

---

(١) رواه أحمد. (٢) رواه الحاكم ورواته ثقات.

خرقة يمسح بها عورته، فإن لمس العورة حرام، ثم يُوضئه وضوء الصلاة، لقول النبى -ﷺ-: **«ابدأ بميامنها ومواضع الوضوء منها»**.. ولتجديد سمة المؤمنين فى ظهور أثر الغرة والتحجيل، ثم يغسله ثلاثًا بالماء والصابون، أو الماء القراح، مبتدئًا باليمين، فإن رأى الزيادة على الثلاث بعدم حصول الإنقاء بها أو لشىء آخر غسله خمسًا. أو سبعًا، ففى الصحيح: أن رسول الله -ﷺ- قال: **«اغسلنها وترًا: ثلاثًا أو خمسًا أو سبعًا، أو أكثر من ذلك إن رأيتن»**..

فإن كان الميت امرأة نُدب نقض شعرها، وغسل واعيد تضفيره، وأُرسل خلفها، ففى حديث أم عطية -رضي الله عنها- أنهن جعلن رأس ابنة النبى -ﷺ- ثلاثة قرون، قلت: نقضنه وجعلنه ثلاثة قرون، قالت: نعم، وفى رواية أخرى: «فضفرنا شعرها ثلاثة قرون، قرينها وناصيتها»[(١)]...

فإذا فرغ من غسل الميت جفف بدنه بثوب نظيف، لئلا تبتل أكفانه، ووضع عليه الطيب، قال رسول الله -ﷺ-: **«إذا أجمرتم -بخرتم- الميت فأوتروا»**[(٢)].

عن أم عطية -رضي الله عنها- قالت: «دخل علينا رسول الله -ﷺ- حين توفيت ابنته فقال: **«اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك -إن رأيتن- بماء وسدر، واجعلن فى الأخيرة كافورًا، أو شيئًا من كافور، فإذا فرغتن فآذننى، فلما فرغنا آذناه فأعطانا حقوه»**، فقال: **«اشعرنها إياه»** يعنى إزاره»[(٣)]..

---

(١) صحيح مسلم.

(٢) رواه البيهقى.

(٣) رواه الجماعة - يراجع فى ذلك كتاب فقه السنة الشيخ سيد سابق.

تكفيـــن الـميـت

يجب أن يُكفن الميت بما يستره، ولو كان ثوبًا واحدًا فرض كفاية، فعن خباب -رضي الله عنه- قال: «هاجرنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نلتمس وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فـمنا من مات لم يأكل مـن أجره شيـئًا، منهم مـصعب بن عمير، قتل يوم أُحد، فلم نجد مما نكفنه إلاّ بُردة، إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليـه خرج رأسه، فـأمرنا النبى -صلى الله عليه وسلم- أن نغطى رأسه وأن نجعل على رجليه من الإذخر»(١)..

ويُستحب فى الكفن:

(١) أن يكون حسنًا، نظـيفًا سـاترًا للبدن، فعن أبى قـتادة -رضي الله عنه- أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: **«إذا وَلِىَ أحدكم أخاه فليُحسن كفنه»**(٢).

(٢) وأن يكون أبيـض. وعن ابن عـبـــاس -رضي الله عنهما-: أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: **«البسوا من ثيـابكم البيض، فإنها خـير ثيابكم، وكفنوا فـيها موتاكم»**(٣).

(٣) وأن يُجـمّر ويُبـخر، ويُطيب، لما صح عن جـابر أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: **«إذا أجمرتم الميت فاجمروه ثلاثًا»**(٤)..

(٤) أن يكون ثلاث لفائف للرجل، وخمس لفائف للمرأة، لما ثبت عن عائشة -رضي الله عنها-. قـالت: كفن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى ثلاثة أثواب بيض سحولية جدد ليس فيها قميص ولا عمامة»(٥).

---

(١) رواه البخارى، والإذخر حشيشة طيبة الرائحة.

(٢) رواه ابن ماجه.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه الجماعة.

(٥) عدم المغـالاة فى ثمن الكفن، فعن على بـن أبى طالب -كرم الله وجهـه- قـال: لا تُغـال لى فى كفـن، فـإنى سمعـت رسول الله -ﷺ- يقـول: **«لا تغـالوا فى الـكفن، فـإنه يُسـلب سلبًـا سريـعًا»**[1].. وكذلك مما يلحق المغـالاة فى الكفن أن يكون من حرير، فكمـا أن الحرير محـرّم على الرجل فى الدنيا فهـو كذلك حرام عليه وهو على أعتاب الدار الآخرة..

(١) رواه أبو داود.

صــلاة الجنــازة

بعد غُسل الميت، وتكفـينه، بقى أن نصلى عليه، قـبل أن نُدخله إلى قبره، إلى مـستقره، إلى حفرته، وسنشـرح لكم أيها الأخوة الأحباب كيـفية الصلاة على الميت. حتى نكون على دراية بفقه الجنائز، وحتى نتعظ ونتذكر، فصلاة الجنازة يـشترط فيهـا كل ما يشترط للصـلاة من طهارة واستقـبال قبلة وستـر عورة، وما إلى ذلك من شروط، ولكن صـلاة الجنازة تُؤدى بلا ركوع ولا سجود. إنما هى أربع تكبيرات يقف الإمام فيها عند رأس الرجل، ووسط المرأة، ويرفع يديه بتكبـيرة الإحرام ناويًا الصـلاة على الميت أو الميتـة، والنية محلها القلب، يُكبر خلفه المأمومون سراً، ثم يُكبر الإمام أربع تكبيرات، يكبر خلفه المصلون، سرًا، واضعًـا كلاً من الإمام والمأمـومين اليد اليُـمنى على اليُسرى، ثم بعـد التكبيرة الأولى قراءة الفـاتحة، وبعد التكبيرة الثـانية الصلاة والسلام عـلى رسول الله -ﷺ- بالصـلاة الإبراهيمـية، النصف الثـانى من التشهد، ثم بعد التكبيـرة الثالثة الدعاء للميت، ولا داعى للتكلف فى الدعاء فما يجريه الله عـز وجل على لسانك فهو خير، المهم أن يـكون دعاءً بالخير، وبعد التكبيـرة الرابعة الدعاء لعامة المسلمين، ثم السلام وهو جـهة اليمين وذا الثابت من فعل النبى -ﷺ-.

الدعاء للميت:

عن عوف بن مـالك قال: سمـعت رسول الله -ﷺ- وقد صلى على جنازة، يقول: **«اللهم اغفر له وارحمه، واعف عنه، وعافه وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بماء وثلج وبَرد، ونقه من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيـراً مـن داره، وأهلاً خيـراً من أهله، وزوجًـا خيـراً من**

زوجه، وقه فتنة القبر، وعذاب النار»، فقال عوف: فتمنيت أن لو كنت أنا الميت لدعاء رسول الله -ﷺ- لذلك الميت»[١].

الدعاء للمسلمين:

وذلك بعد التكبيرة الرابعة، عن أبى هريرة -رضي الله عنه-. قال: صلى رسول الله -ﷺ- على جنازة فقال: **«اللهم اغفر لحينا وميتنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرانا وأنثانا، وشاهدنا وغائبنا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده»**[٢].

تشييع الجنازة

اعلم -أخى- هدانا الله وإياك لما فيه الخير، أن تشييع الجنازة من حق أخيك عليك، يقول الإمام الشوكانى:

«ويكون المشى بالجنازة سريعًا، والمشى معها، والحمل لها سنة، والمتقدم عليها والمتأخر عنها سواء، ويُكره الركوب، ويُحرم النعى والنياحة واتباعها بالنار، وشق الجيب والدعاء بالويل والثبور، ولا يقعد المتبع لها حتى تُوضع، والقيام لها منسوخ»[٣].

أما الإسراع بالجنازة فلحديث أبى بكرة قال: «كنا مع رسول الله -ﷺ-. وإنّ لنكاد نَرْمُلُ بالجنازة رملاً»[٤].

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: **«أسرعوا بالجنازة، فإن كانت صالحة قربتموها إلى الخير، وإن كانت غير ذلك فشر تضعونه عن رقابكم»**[٥].

وأما بالنسبة للركوب إذا كان الميت سيُدفن فى مكان موته، فلا حاجة

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه أحمد.
(٣) الدرر المضيئة - محمد بن على الشوكانى (باب الجنائز).
(٤) رواه أحمد.
(٥) متفق عليه.

لحمله، وإن كان مكان الدفن بعيدًا، وجب حمله، والأفضل نقل الجثة حملاً على كواهل الرجـال، فإن شق على الرجال حمله أو كان مكـان الدفن بعيدًا وجب حمله، فى السيـارة أيًا كان نوعها، ما لم تُخل بكرامـة وحرمة الميت، ونظرًا لبناء أو تأسيس المدافن بعيدة عن العمران بالكيلو مترات فقد أصبح من الضرورى استعمال وسائل المواصلات، والدين يُسر ولا حرج. . .

ومن تمام تشـييع الجنازة السكوت التـام، وعدم رفع الصـوت ولو حتى بالأذكار، أو بقراءة القرآن. لأن ذلك من البـدع، ولم يثبـت فعلـه عن النبى -ﷺ- ولا عن صحابته الكرام -رضوان الله عليهم-، وعدم رفع الصوت -أيضًـا- بالبكاء أو النيـاحة أو الصـراخ أو مـا شابه ذلـك، من الأشيـاء التى تُغضب الجليل -جل وعلا-.

تلحيد الميت

بعد تجهـيز الميت أى تغسيـله غسلاً شرعيًا، وتكفينه تكفينًا شرعيًا، والصلاة عليـه، نأتى -الآن- إلى وضعه فى قـبره، ويا لهـا من لحظة تُشيب ناصية الصبى، ويا لها من لحظة تُنسى ليلة العُرس. . .

ولله در القائل(١):

والله لو عاش الفتى من دهره	ألفًا من الأعوام مالك أمـــره
متلـــذذًا فيــه بكـــل هنيَّة	ومبلَّغًا كلَّ الـمُنى من دهــره
لا يعــرف الآلام فيـها مــرَّةً	كلا ولا جرت الهموم بفكره
ما كان ذاك يفيدُهُ مـن عُظْـمِ	ما يلقى بأول ليلة فى قبـــره

وأما عن طريقـة دفن الميت نورد أحاديث المصطفى -ﷺ-: عن هشام ابن عامر قال: شكونا إلى رسول الله -ﷺ- يوم أُحد، فقلنا: يا رسول الله

(١) كتاب ديوان الإمام على -كرم الله وجهه-.

الحفـر علينا لكل إنسان شديد؟ فـقال: «**احفـروا وأعمقـوا وأحسنوا وادفنوا الاثنين والثلاثة فى قبـر واحد»، فقالوا: فمن نُقدم يا رسـول الله؟ قال: «قدّموا أكثرهم قرآنًا»، وكان أبى ثالث ثلاثة فى قبر واحد**»[1].

وعن عامـر بن سعد قـال: قال سعـد: «الحدوا لى لحدًا وانصـبوا علىّ اللبن نصبًا كما صُنع برسول الله -ﷺ-»[2].

عن رجل من الأنصار قال: خرجنا فى جنازة فجلس رسول الله -ﷺ- على حَفيرة القبر فـجعل يُوصى الحافر ويقول: «**أوسع من قِبل الرأس، أوسع من قِبل الرجلين، رُبَّ عَذق (نخلة) له فى الجنة**»[3].

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبى -ﷺ- قال: «**كان إذا وَضَع الميت فى القبر قال: «بسم الله وعلى مِلة رسول الله -ﷺ-**»[4].

ونستطيع من مجموع الأحاديث السالفة الذكر استنباط ما يلى:

١- اللحد أفضل من الشق، مع جواز الشق.

٢- تعميق القبر وتحسينه حسب نوعية تربة الأرض.

٣- جواز دفن أكثر من واحد فى قبر واحد.

٤- على الـمُلحد أن يقول: بسم الله وعلى مِلة رسول الله -ﷺ-.

٥- إذا كان الميت امرأة يُستحب ستر قبرها عند الدفن.

٦- والأفضل -اتبـاعًا للسنة- عـدم تشريف القـبر -أى رفـعه عن الأرض- بمقدار كـبير - لحـديث على -رضي الله عنه- قال: أبعـثك على ما بعـثنى عليه رسول الله -ﷺ-: «**لا تدع تمثـالاً إلاّ طمـسته، ولا قـبراً مشـرفًا إلا سويته**»[6].

---

(١) رواه النسائى والترمذى.
(٢) رواه مسلم وأحمد.
(٣) رواه أحمد.
(٤) رواه الخمسة إلا النسائى.
(٥) رواه الجماعة إلا البخارى.

٧- يجوز تسنيم القبر -أى وضع علامة- لحديث المطلب بن عبد الله بن حَنْطب قال: «لمّا مات عثمان بن مظعون خُرج بجنازته فدُفن، فأمر النبى -ﷺ- رجلاً أن يأتى بحجر، فلم يستطع حمله، فقام إليه رسول الله -ﷺ- وحسر عن ذراعيه، قال المطلب: قال الذى أخبرنى: كأنى أنظر إلى بياض ذراعى رسول الله -ﷺ- حين حَسَرَ عنهما، ثم حمله فوضعه عند رأسه، وقال: أعلِّم به قبر أخى، وأدفن إليها من مات من أهلى»[(١)].

دفن الميت والدعاء له

بعد تلحيد الميت، ووضعه فى قبره، يجب إهدار التراب عليه، ولا يجب أن يُترك القبر هكذا دون إفراغ التراب عليه، ثم بعد الفراغ من التلحيد والدفن، يُسن الدعاء للميت لما ثبت عن عثمان قال: «كان النبى -ﷺ- إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: **«استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت. فإنه الآن يسأل»**[(٢)].

وعن أبى شاسة المهرى: قال حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياقة الموت، وفيه: فإذا دفنتمونى فشنوا علىّ التراب شنًّا، ثم أقيموا حول قبرى قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وانظر ماذا أراجع به رسل ربى -عز وجل-...

وكذلك يجب تلقين الإنسان بعد موته شهادة الإخلاص، أو كما جاء فى الحديث حجته، فقد روى عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: **«إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب، فليقم أحدكم على رأس قبره، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يُجيب، ثم ليقل: يا فلان بن فلانة الثانية، فإنه يستوى قاعدًا، ثم يقول: يا فلان بن فلانة الثالثة فإنه يقول: أرشدنا رحمك الله،**

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه أبو داود والحاكم.

ولكنكم لا تسمعون، فيقول له: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنك رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد -ﷺ- نبيًا، وبالقرآن إمامًا، فإن منكرًا ونكيرًا يتأخر كل واحد منهما، يقول: انطلق بنا ما يُقعدنا عند هذا، وقد لُقن حجته، ويكون الله حجيجهما دونه»...

آداب زيارة المقابر

(١) **إلقاء السلام**: فعن بريدة بن الحصيب قال: «كان رسول الله -ﷺ- يُعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: **«السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»**[(١)].

(٢) **العبرة والموعظة**: فعن أبى ذر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: **«زر القبور تذكر بها الآخرة، واغسل الموتى فإن معالجة جسد موعظة بليغة، وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك، فإن الحزين فى ظل الله يتعرض لكل خير»..**

وفى الحديث أيضًا: **«كفى بالموت واعظًا»..**

(٣) **عدم الجلوس على المقابر**: فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال النبى -ﷺ-: **«لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه، فتخلص إلى جلده، خير له من أن يجلس على القبور»..**

(٤) **الدعاء لهم**: فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: مر رسول الله -ﷺ- بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه، وقال: **«السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم أنتم السالفون ونحن بالأثر»..**

(٥) **زيارة النساء للقبور**: فى بادئ الأمر منع رسول الله -ﷺ-

---

(١) مسلم.

النســاء من زيارة القبــور، ثم ســمح لهن بعد ذلــك وعلمـهن آداب الزيـارة، فمما روى فى منعهن حـديث على بن أبى طالب -رضي الله عنه- قال: خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإذا نسـوة جلوس، قال: **«ما يجلسكن»**، قلن: ننتظر الجنازة، قال: **«هل تغسلن؟»** قلن: لا. قال: **«هل تحملن؟»** قلن: لا. قال: **«هل تدلين فيمن يدلى»**، قلن: لا، قال: **«فارجعن مأزورات غير مأجورات..»**.

ولقد نُسخ هذا الحُكم بعد ذلك، مع اشتراط النبى -صلى الله عليه وسلم- عليهن، بأن يلتزمن بالزى الشرعى، وأن يلتزمن بآداب دخـول المقابر، وكذلك أن يلتزمن بالصمت، وعدم رفع الصوت، ومن ثم عدم النيـاحة والصراخ. فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: يـا رسول الله، كيف أقـول إذا دخلت المقـابر؟ قال: **«قولى السـلام على أهل الـديار من المؤمنين والمسلمين، ورحـم الله المسـتـقـدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»**[1].

(٦) الإكثار من الدعاء وقراءة القـرآن والاستغفار لهم: فعن عبادة ابن الصامت -رضي الله عنه- قال: سـمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: **«من استـغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة»**[2].

عن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **«إذا مات ابن آدم انقطع عـمله، إلا من ثلاث، صـدقة جـارية، أو علم ينتـفع به، أو ولد صـالح يدعو له»**[3].

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الطبرانى بإسناد جيد.
(٣) رواه مسلم.

الفصل الخامس

أول منازل الآخرة

- كلام القبر للميت.
- سؤال الملكين.
- ضمة القبر.
- القبر روضة من الجنة.
- القبر حفرة من النار.
- عذاب القبر ونعيمه.
- عبرة وعظة.

كلام القبر للميت

وضعت فى القبر يا مسكين، حفرة ضيقة مظلمة، وضعت وحيداً مستوحشًا، ماذا أخذت معك، لم تأخذ معك أى شىء من متاع دنياك، لم تأخذ إلاّ عملك الصالح. هكذا عُدتَ إلى أصل خلقتك.. قال تعالى:

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[1].. هل أعددت العُدة لمثل هذه اللحظة العصيبة؟ أنت الآن وحيد فريد، لم ينفعك ما جمعت من مال، ولم ينفعك ما وصلت إليه من منصب، ولم ينفعك ما اشتريت من دور وأراضى، ولم ينفعك ما بَنيت من منازل وعمارات، لم ينفعك شىء من ذلك كله. عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- **«يتبع الميت ثلاث: فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله»**[2].

وهذه هى الأشياء التى تنفعك، وتعود عليك بالخير.

حدثنى أبو عبد الله الأغر، عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علمًا علمه ونشره، أو لداً صالحًا تركه، أو مصحفًا ورّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته تلحقه بعد موته»**.

ولله در القائل:

انصرف الناس إلى دورهم

وغودر الميت فى رمسه

---

(1) سورة طه: ٥٥.

(2) رواه مسلم.

مــــرتــهن الـنفس بـأعـــمـــــاله

لا يرتجى الإطلاق من حـــبـــســـه

لنـفـــســـه صـــــالح أعـــمــــاله

ومـــا ســـواها فـــعلى نفـــســـه

وها هو قـبرك يُحـادثك، وها هو مسـتقـرك يُخاطبك، وها هو بيـتك يُناديك، روى أن رسول الله -ﷺ-، دخل مصلاه فرأى أناسًا يكثرون الكلام فقال: **«أما إنكم لوأكثرتم من ذكر هاذم اللذات، -يعني الموت- لشغلكم عما أرى منكم، فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه، فيقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحدة، أنا بيت العذاب، أنا بيت الدود، فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحبًا وأهلاً. أما إنك كنت لأحب من يمشى على ظهرى، فإذا أويتك اليوم، وصرت إلىّ فسترى صنعى بك، فيتسع له مد بصره، ويفتح له باب من الجنة، وإذا دفن العبد الكافر قال له القبر: لا مرحبًا ولا أهلاً، أما إنك كنت لأبغض من يمشى علىٰ ظهرى، فإذا أويتك اليوم وصرت إلىّ، فسترى صنعى بك، قال: فيلتئم عليه حتى يلتقى وتختلف أضلاعه»**، قال: قال رسول الله -ﷺ- بأصابعه فأدخل بعضها فى جوف بعض، قال: **«ويُقيِّضُ الله له تسعين تنينًا أو تسعة وتسعين، لو أن واحدًا منها نفخ فى الأرض، ما أنبتت شيئًا، ما بقيت الدنيا، فتنهشه حتى يفضى به إلى الحساب»**، قال: قال رسول الله -ﷺ-: **«إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»**(١).

سؤال الملكين

لقد بدأت رحلة الخلود، بدأت الرحلة فى رحاب دار الحق، بدأت رحلة الأهوال والمخاطر، بدأت رحلة معاينة الحقائق، فالقبر أول منازل الآخرة، ومنه، بل من لحظة الاحتضار تعرف حُسن مصيرك، من سوئه،

---

(١) رواه الترمذى .

ولكن هنا المشاهدة الحقيقيـة، والرؤية الصادقة، وإليك هذا الحديث الذى جاء عن الصادق المعصوم -ﷺ-، وهو يُخبرنا بهـول هذا الموقف، وبفظاعة هذا المنظر، الذى لو تفكر كل إنسان فيه، وعمل حـسابه، وعد العُدة، لكان قبره روضة من رياض الجنة، فعن عثمان -رضي الله عنه- أن النبى -ﷺ- قال: **«إن القبر أول منزلة من منازل الآخرة، فإن نجى منها، فـإن ما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه ما بعده شر منه»**(١).

وعن أنس -رضي الله عنه- عن البـراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: كنـا مع رسول الله -ﷺ- فى جنازة فجلس على شفير القـبر فبكى وأبكى حتى بل الثرى، وقال: **«يا إخوانى لمثل هذا فأعدوا»**(٢).

فالأمر -عـبد الله- جد خطير. وفى مـعنى حديث للنبى -ﷺ- يقول فيه: **«ما رأيت منظراً إلاّ والقبر أفظع منه»**.. فجهز نفسك، وأعد الزاد، كى تجـتاز عـقبـة سـؤال الملكين لك، بنجـاح، حـتى تجلس فى قبـرك منعـمًـا مسروراً..

عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: شهدنا جنازة مع رسول الله -ﷺ-، فلما فرغ منـها وانصرف الـناس، قال: **«إنه الآن يسـمع خـفق نعـالكم أتاه منكر ونكيـر، أعينهـما مـثل قدور النحـاس، وأنيابهـما مـثل صيـاصى البـقر -أى القرون- وأصواتهـما مثل أصوات الرعد، فيـجلسانه فيسألانه ما كـان يعبد؟ ومن كان يعبـد؟! ومن كان نبيه؟ فـإن كان ممن يعبد الله، قـال: أعبد الله، ونبى محمد -ﷺ- جاءنا بالبينات والهدى فآمنا واتبعناه، ذلك قول الحق سبحانه: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾ فيقال له: على اليقين حيـيت، وعليه مت وعليه تبـعث، ثم يفتح له باب إلى الجنة، ويُوسع له فى حفـرته... وإذا كان من أهل الشك قـال: لا أدرى سمعت الـناس يقولون شيـئًا فقلتـه، فيقال له: على الشـك حييت وعلى الشك مت وعليـه تُبعث، ثم**

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) رواه ابن ماجه.

يُفتح له باب إلى النار وتسلط عليه عقارب وتنانين لو نفخ أحدهما على الدنيا ما أنبتت شيئًا، تنهشه وتؤمر الأرض أن تنضم عليه حتى تختلف أضلاعه».

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن العبد إذا وضع فى قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد -صلى الله عليه وسلم-؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله تعالى به مقعداً من الجنة فيراهما جميعًا» قال قتادة: وذكر لنا أنه يُفسح له فى قبره أربعون ذراعًا، وقال مسلم: سبعون ذراعًا، ويُملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون، ثم رجع إلى حديث أنس، قال: «وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول: لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين»(١)..

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إذا أُقبر الميت -أو قال أحدكم- أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر وللآخر النكير، فيقولان: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول فيه: هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له فى قبره، سبعون ذراعًا فى سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أَرجعْ إلى أهلى فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلاّ أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون قولاً، فقلت مثله، لا أدرى، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمى عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»(٢).

---

(١) البخارى.

(٢) الترمذى حديث حسن غريب.

ضمـــة القبـــر

هل أعددت العُدة لذلك؟ هل جـهزت الزّاد لتلك اللحظة؟! ياالله يا لها من لحظة، كم هى صـعبـة، يا لها من لحظة، كم هى مـخيـفة، يا لهـا من لحظة، كم هى مرعـبة، عن عائشة -رضي الله عنها- قـالت: قال رسول الله -ﷺ-: **«إن للقبر ضغطة. لو سلم أو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ»**(١).

أنت الآن تسـتطيع العـمل، وغـداً لن تسـتطـيع الفـرار، لن تسـتطيع الإفلات، كل ما قدمته ستجده مـسطوراً مدونًا، كل ما عملته ستجده مكتوبًا مسجلاً، كُتب وأنت ساهٍ لاهٍ، غافل عابث، أترى.

أتسمع ماذا قال النبى -ﷺ- عن الصحابى الجليل «سـعد بن معاذ»، فأين نذهب نحن؟ وما حالنا نحن؟ فإلى الله المشـتكى، عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- عن رسول الله -ﷺ- قال: **«هذا الذى تحـرك له عـرش الرحـمن، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سـبعون ألفًا من الملائكة، لقد ضم ضمة ثم فرج عنه»**(٢).

وقد روى عمـر بن شبة فى كتاب (المدينة) -على سـاكنها السلام- فى ذكر وفاة فـاطمة بنت أُسد أم أميـر المؤمنين على بن أبى طالب -رضي الله عنه- قال: بينما هو -ﷺ- فى أصحابه أتاه آت، فـقال: إن أم على وجعفر وعـقيل قد ماتت، فقال: **«قوموا بنا إلى أمى»** قال: فقمنا كأن على رؤوسنا الطير، فلما انتهـينا إلى الباب نزع قـميصـه وقال: **«إذا كفنـتموها فـأشعـروها إياه تحت أكفانها»**، فلما خرجوا به جعل رسول الله -ﷺ- مرة يحمل، ومرة يتقدم ومرة يتأخر حـتى انتهينا بها إلى القبر، فتمـعك فى اللحد، ثم خرج وقال: **«أدخلوها بسم الله، وعلى اسم الله»** فلما دفنوها قـام قائمًا وقـال: **«جزاكِ الله من أُم، وربيبـة خير»** وسـألناه عن نزع قميـصه، وتمعكه فى اللحد؟ فـقال: **«أردت أن لا تمسها النار أبداً، إن شاء الله تعالـى، وأن يوسع الله عليها قبرها»**،

---

(١) رواه أحمد بإسناد جيد. (٢) النسائى.

وقال: «ما عُفى أحد من ضغطة القبر، إلاّ فاطمة بنت أسد». قيل: يا رسول الله: ولا القاسم ابنك؟ قال: «ولا إبراهيم»، وكان أصغرهم»[1].

القبر روضة من الجنة

عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الميت إذا وُضع فى قبره فإنه يسمع خفق نعالهم حين يولون مدبرين، فإذا كان مؤمنًا كانت الصلاة، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه.. فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلى مدخل.. ثم يؤتى من قبل رجليه، فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قبلى مدخل، فيقال: اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس، وقد أذنت للغروب، فيقال له: أرأيت هذا الذى كان قبلكم ما تقول فيه وماذا تشهد عليه؟ فيقول: دعونى حتى أصلى، فيقولون: إنك ستفعل. أخبرنا عما نسألك عنه، أرأيت هذا الرجل الذى قبلكم ماذا تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟ فيقول: محمد أشهد أنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنه جاء بالحق من عند الله، فيقال: على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ثم يُفتح له باب من أبواب الجنة فقالوا له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يُفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك وما أعد الله لك فيها لو عصيته، فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يُفتح له فى قبره سبعون ذراعًا وينور له فيه ويُعاد الجسد، لما بُدئ منه، فتجعل نسمة (الروح) فى النسيم الطيب، وهى طير تعلق فى شجرة الجنة، فذلك قوله:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[2]».

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إذا مات أحدكم

---

(١) رواه أبو نعيم الحافظ عن عاصم الأحول عن أنس.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٧.

عُرض عليه مقعده بالغداة والعشى، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»(١) .

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: **«لمّا أُصيب إخوانكم يوم أُحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة، فى ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقبلهم قالوا: من يُبلغ إخواننا عنا أننا أحياء فى الجنة، نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد، ولا يتكلوا لا يخافوا ولا يجبنوا عند الحرب، فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾**(٢) .

إذن فالمؤمن يُنعم فى قبره، ويكون قبره روضة من رياض الجنة، كما وصفه الحبيب -ﷺ-.

فعن أبى قتادة -رضي الله عنه- أن النبى -ﷺ- قال: **«مستريح ومستراح منه» قالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟ قال: «العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وآذاها إلى رحمة الله تعالى، والعبد الفاجر تستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب»**(٣) .

وفى معنى الحديث -أيضًا- عن رسول الله -ﷺ-: **«ما من مسلم يموت إلاّ ويندم»**، قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ **«إن كان محسنًا يندم أنه لم يزدد إحسانًا، وإن كان مسيئًا يندم أنه لم يقلع عن إساءته»**.

قال كعب الأحبار: إذا وضع العبد الصالح فى قبره احتوشه أعماله الصالحة فتجيء ملائكة العذاب من قِبل رجليه، فتقول الصلاة: إليكم عنه، فيأتون من قبل رأسه، فيقول الصيام: لا سبيل لكم عليه، فقد أطال ظمأه لله

(١) رواه الشيخان.
(٢) سورة آل عمران: ١٦٩ .
(٣) رواه الشيخان.

عز وجل فى دار الدنيا، فيأتون من قِبل جسمه، فيقول الحج والجهاد، إليكم عنه، فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه، وحج وجاهد لله عز وجل، لا سبيل لكم عليه، فيأتون من قبل يديه، فتقول الصدقة: كفوا عن صاحبى، فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين، حتى وقعت فى يد الله عز وجل ابتغاءً لوجهه، فلا سبيل لكم عليه، قال: فيقال له، نم هنيئًا طبت حيًّا، وطبت ميتًا...

عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: خرجنا مع رسول الله -ﷺ- فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى قبر، ولما يلحد، فجلس رسول الله -ﷺ- وجلسنا حوله، كأنما على رءوسنا الطير، قال عمرو بن ثابت: وقع ولم يقله أبو عوانة، فجعل يرفع بصره، وينظر إلى السماء، ويخفض بصره، وينظر إلى الأرض، ثم قال: «أعوذ بالله من عذاب الله»، قالها مراراً ثم قال: **«إن العبد المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة، وانقطاع من الدنيا، جاءه ملك فجلس عند رأسه، فيقول: اخرجى أيتها النفس الطيبة إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج نفسه فتسيل كما يسيل قطر السقاء»**، قال عمرو فى حديثه: ولم يقله أبو عوانة، وإن كنت ترون غير ذلك، **«وتنزل ملائكة من الجنة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم أكفان من أكفان الجنة، وحنوط من حنوطها، فيجلسون منه مد البصر، فإذا قبضها الملك لم يدعوها فى يديه طرفة عين، قال: فذلك قوله تعالى:**

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾[1].

قال: فتجرح نفسه كأطيب ريح وُجدت، فتخرج به الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض، إلا قالوا: ما هذه الروح؟ فيقال: فلان: بأحسن أسمائه حتى ينتهوا به إلى أبواب السماء الدنيا، فيفتح له، ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقال: اكتبوا كتابه فى عليين» ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[2]

---

(١) سورة الأنعام: ٦١.
(٢) سورة المطففين: ١٩-٢١.

فيكتب كتابه فى عليين، ثم يقال: ردوه إلى الأرض فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم، وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أُخرى، قال: فيرد إلى الأرض، وتعاد روحه إلى جسده، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه ويجلسانه، فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربى الله ودينى الإسلام، فيقولان: فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان: ما يدريك؟ فيقول: جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت، قال: وذلك قوله تعالى:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾(١).

قال: «وينادى مناد من السماء أن قد صدق عبدى، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وأروه منزله منها، ويُفسح له مد بصره، ويُمثل عمله له فى صورة رجل حسن الوجه، طيب الرائحة، حسن الثياب، فيقول: أبشر بما أعد الله لك، أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم، فيقول: بشرك الله بخير، من أنت فوجهك الوجه الذى جاء بالخير؟ فيقول: هذا يومك الذى كنت توعد، أو الأمر الذى كنت توعد أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتك إلاّ كنت سريعًا فى طاعة الله، بطيئًا عن معصية الله، فجزاك الله خيراً، فيقول: يا رب أقم الساعة كى أرجع إلى أهلى ومالى..»(٢).

القبر حفرة من النار

فالقبر -عبد الله- كما أسلفنا أن قلنا إما أن يكون روضة من رياض الجنة، وإما أن يكون حفرة من حفر النار، وذلك على العُصاة والمُذنبين، ففى حديث البراء بن عازب -رضي الله عنه- يُوضح لنا ذلك من قول الرسول -ﷺ-: «إن كان فاجراً وكان فى إقبال من الدنيا، وانقطاع من الآخرة، جاءه ملك، فجلس عند رأسه، فقال: اخرجى أيتها النفس الخبيثة، وأبشرى بسخط

---

(١) سورة إبراهيم: ٢٧.

(٢) أخرجه أبو داود جزء من الحديث.

من الله، وغضبه فتنزل ملائكة سود الوجوه معهم مسوح من نار، فإذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوها. في يده طرفة عين، قال: فتفرق في جسده فيستخرجها، تقطع منها العروق والعصب كالسفود الكثير المشعب في الصوف المبتل، فتؤخذ من الملك، فتخرج كأنتن جيفة وُجدت فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض، إلاّ قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بأسوأ أسمائه حتى ينتهوا به إلى سماء الدنيا فلا يفتح لهم، فيقولون: ردوه إلى الأرض إني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أخرى، قال: فيرمي به من السماء، قال: وتلا هذه الآية: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[1] قال: فيعاد إلى الأرض، وتعاد فيه روحه، ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه، فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول: لا أدرى فيقولان: فما تقول فى هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ فلا يهتدى لاسمه، فيقال: محمد، فيقول: لا أدرى سمعت الناس يقولون ذلك، قال: فيقال: لا دريت، فيضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه، ويمثل له عمله، فى صورة رجل قبيح الوجه، منتن الريح، قبيح الثياب، فيقول: أبشر بعذاب الله وسخطه، فيقول: من أنت فوجهك الذى جاء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئًا عن طاعة الله سريعًا إلى معصية الله» فيقيض له أصم أبكم بيده مرزبة، لو ضُرب بها جبل صار ترابًا، أو قال: «رميمًا فيضربه به ضربة تسمعها الخلائق إلا الثقلين، ثم تعاد فيه الروح. فيضرب ضربة أخرى» وفى رواية «ثم يقيض له أعمى أصم معه مرزبة من حديد، فيضربه بها ضربة فيدق بها ذؤابته إلى خصره، ثم يعاد فيضربه ضربة، فيدق بها ذؤابته إلى خصره».. وفى بعض طرقه عن قوله: «مرزبة من حديد لو اجتمع عليه الثقلان لم ينقلوها، فيضرب بها ضربة، فيصير ترابًا ثم تعاد فيه الروح، ويضرب بها ضربة يسمعها من على الأرض غير الثقلين، ثم يقال: أفرشوا له لوحين من

---

(١) سورة الحج: ٣١.

نار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيفرش له لوحان من نار، ويفتح له باب إلى النار..»(١).

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: «إذا احتضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بجريرة بيضاء فيقولون: اخرجى راضية مرضيًا عنك إلى روح وريحان، ورب راض غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضًا حتى يأتوا به باب السماء، فيقولون: ما أطيب هذه الريح التى جاءتكم من الأرض؟ فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحًا من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ يقولون: دعوه فإنه كان فى غم الدنيا، فإذا قال: ما آتاكم؟ قالوا: ذُهب به إلى أمه الهاوية، وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب، بمسح فيقولون: اخرجى ساخطة مسخوطًا عليك إلى عذاب الله، فيخرج كأنتن ريح خبيثة، حتى يأتوا به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح؟ حتى يأتوا به أرواح الكفار»(٢).

فعليك -أخى- أن تستعد لهذا اليوم، الذى لا مفر منه، ولن نستطيع أن تهرب منه، فاحذر واستعد، عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إن الكافر إذا أُتى من قبل رأسه، لا يوجد شىء، ثم أُتى عن يمينه، فلا يوجد شىء، فيقال له: اجلس فيجلس مرعوبًا خائفًا، فيقال: أرأيت هذا الرجل الذى كان قبلكم ماذا تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟ فيقول: أى رجل ولا يهتدى لاسمه، فيقال له: محمد. فيقول: لا أدرى، سمعت الناس يقولون قولاً فقلت كما قال الناس، فيقال له: على ذلك حييت، وعليه متّ، وعليه تبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مَقعدك من النار، وما أعد الله لك فيها فيزداد حسرة وثبورًا، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها لو أطعته، فيزداد حسرة

---

(١) أخرجه أبو داود.
(٢) النسائى.

وثبوراً، ثم يضيق عليه قبـره، حتى تختلف أضلاعه»، فتلك المعيشة الضنك، التي قال الله فيها:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[1].

ضع -أخي- نصب عينيك، واستيقن واعلم ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[2]، إذن كيف يسوى الله -عز وجل- بين الطائع والعاصي، بل كيف يسـوى الله بين المطيع والمـذنب، حـاشـا لله أن يسـوى بين الناس حـتى بين الطائعين:

﴿وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[3].

فكل إنسان على حـسب درجته، وعلى حسب التـزامه، وعلى حسب قُربه من الله تعالى، وعلى حسب حبه لله وشـرعه، وعلى حسب حُبه للنبي -ﷺ- وسنته.

قال تعالى:

﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[4]، فإياك أن تكون ممن قال الله فيهم:

﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[5].

وهذا حديـث عن سيد الخلـق، وإمام الحق -ﷺ- علنّا نتـعظ بما جاء فيه، ونتدبر ونعقل ونعى.

عن سمـرة بن جندب -رضي الله عنه- قال: كـان النبي -ﷺ- إذا صلى أقبل علينا بوجهه، فقال: **«من رأى منكم الليلة رؤيا؟! قال: «فإن رأى أحد رؤيا**

---

(١) سورة طه: ١٢٤-١٢٦.
(٢) سورة الكهف: ٣٠.
(٣) سورة ق: ٢٩.
(٤) سورة الحشر: ٢٠.
(٥) سورة الحشر: ١٩.

قصها فيقول: ما شاء الله»، فسألنا يومًا. قال: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟» قلنا: لا، قال: «لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذا بيدى فأخرجانى إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد، يُدخله فى شدقه، حتى يبلغ فاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا فيضع مثله، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا رجلاً مضطجع على قفاه، ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة، فيشرخ بها رأسه، فإذا ضربه تهدهد الحجر، فانطلق ليأخذه فمًا يرجع هذا حتى يلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق. فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور، أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نار، فإذا اقترب، ارتفعوا حتى كادوا يخرجون، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عُراة، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دمٍ فيه رجل قائم، وعلى شط النهر، رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجلُ الذىً فى النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه، فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه حجراً، فيرجع كما كان، حتى انتهينا إلى روضة خضراء، فيها شجرة عظيمة، وفى أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه، نار يوقدها، فصعدا بى الشجرة، وأدخلانى داراً لم أر قط أحسن منها، فيها شيوخ ونساء، وشباب وصبيان، ثم أخرجانى منها، فصعدا بى الشجرة فأدخلانى داراً هى أحسن وأفضل، فيها شيوخ وشباب..

قلت: طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما رأيت؟

قالا: نعم، الذى رأيت يُشق شدقه. فكذاب، يحدث بالكذب، فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة، والذى رأيته يُشدخ رأسه، فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل، ولم يعمل فيه بالنهار، يُفعل به إلى يوم القيامة، وأما الذين رأيتهم فى الثقب، فهم الزُناة، والذى رأيته فى النهر، آكل الربا، والشيخ فى أصل الشجرة، إبراهيم، والصبيان حوله فأولاد الناس، والذى يوقد النار، مالك خازن النار، والدار الأولى دار عامة المؤمنين، وأما

هذه الدار، فدار الشهداء، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل، فارفع رأسك، فرفعت رأسي، فإذا فوقي مثل السحاب قالا: ذلك منزلك، فقلت: دعاني أدخل منزلي، قال: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملته أتيت منزلك»[1] .

عذاب القبر ونعيمه

من خلال العنصرين السابقين نستطيع أن نستدل بصراحة ووضوح، على نعيم القبر، وعلى عذاب القبر، والنعيم كما هو معلوم يكون للذين أخلصوا لله -عز وجل- العبادة، الذين عبدوا الله حق العبادة، الذين اتبعوا سنة النبي -ﷺ-، وحاشا لله -عز وجل- أن يعذب قلبًا أحبه، ولسانًا ذكره، وجسدًا أطاعه، وجوارحًا خشعت له، وعيونًا بكت من خشيته، ولكن العذاب كل العذاب، والنكال كل النكال للذين عصوا الله رب العالمين، فلم يتبعوا أوامر الله -عز وجل-، ولم يتبعوا سنة الرسول المصطفى -ﷺ-، نبينا أفضل خلق الله على الإطلاق، كان يُعد العُدة لهذا اليوم، ولمثل هذه الساعات، وكان يجهز الزاد ولذلك في حديث السيدة عائشة -رضي الله عنها- قالت: دخل عليّ رسول الله -ﷺ- وعندي امرأة من اليهود، وهي تقول: إنكم تفتنون في القبور، فارتاع رسول الله -ﷺ- وقال: **«إنما يفتن يهود»**، قالت عائشة -رضي الله عنها- فلبثنا ليالي، ثم قال رسول الله -ﷺ-: **«هل شعرت أنه أوحي إليّ. أنكم تفتنون في القبور؟»**، قالت عائشة: فسمعت رسول الله -ﷺ- يستعيذ من عذاب القبر»[2] .

وعن أسماء عن النبي -ﷺ- أنه قال: **«وإنه قد أُوحي إليّ أنكم تفتنون في القبور قريبًا أو مثل فتنة الدجال لا أدري أي ذلك؟»** قالت: أسماء: يُؤتى بأحدكم فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن فيقول: «هو

---

(١) رواه البخاري.

(٢) النسائي.

محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا» ثلاث مرات، ثم يقال له: نم قد نعلم أنك لتؤمن به فنم صالحًا»، وأما المنافق أو المرتاب، فيقول: لا أدرى أى ذلك؟ قالت أسماء: فيقول: لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئًا فقلت[1]..

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدعو: «**اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**»[2].

وعن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: دخلت على عجوزان من عجائز يهود المدينة فقالتا: إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم، قالت: فكذبتهما، ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجنا ودخل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقلت: يا رسول الله إن عجوزين من عجائز يهود المدينة، قالتا: إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم، قال النبى -صلى الله عليه وسلم-: «**صدقتا إنهم يُعذبون عذابًا تسمعه البهائم**». قالت: فما رأيته بعدُ فى صلاة إلاّ يتعوذ من عذاب القبر»[3].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: مر النبى -صلى الله عليه وسلم- على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يُعذبان فى كبير، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله فدعا بعسيب رطب فشقه نصفين ثم غرس على هذا واحدًا، وعلى الآخر واحدًا، ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[4].

أخى الحبيب:

نشاهدُ ذا عين اليقين حقيقة

عليه مضى طفل وكهل وأشيبُ

---

(1) رواه الأئمة واللفظ لمسلم.

(2) البخارى.

(3) البخارى.

(4) البخارى ومسلم.

ولكـن عــلا الـرانُ القلـوبَ كــأنـنا

بما قـــد علمـناه يقـــينًا.. نـكذبُ

نُؤِّمل آمـــالاً ونرجـو نتـــاجَـهـا

وعلَّ الـردى مما نرجـــيــه أقـــربُ

ونبنى القصورَ المشمخرّات فى الهوى

وفى عـلمـنا أنّـا نموتُ وتـخــــربُ

إلى الله نـشكو قـــســوةً فى قلوبـنا

وفـى كلِّ يـومٍ واعـظ المـوت ينـدبُ

عبرةٌ وعِظـــة

أخى الحـبيب -هدانا الله وإياك- هلاّ تـدبرت معى هذا الحـديث، عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**». . .

هذا الحديـث لو تدبرنا معـانيه، لما فكر فى المعـصية أحـد، لأنك ربما مت، وأنت على هذه المعـصية، ومن ثـم كمـا هو ثابت فى نص الحـديث السابق أنك إن مت على حالـة، سوف تبعث عليها، فـمن مات زانيًا، بعث زانيًا، ومن مات مجاهدًا بُعث مـجاهدًا، وهكذا كل إنسان يبعث على الحالة التى مـات عليهـا، فـعن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: «**والذى نفسى بيده لا يُكلمُ -أى يجرح- أحـد فى سبيل الله - والله أعلم بمن يُكلم فى سبيله، إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا، اللون لون الدم، والعرف عرف المسك**»[1].

فالمرء كما ذكـر الحبيب -صلى الله عليه وسلم- يحشر مع من يُحـب، ويُبعث على ما مات عليـه، فمن أحب الله ورسوله حشـر مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن أحب أهل الخير والصلاح والـفلاح، حشر معهم فى جنات النعـيم، وأما -والعياذ بالله- من أحب الشهوات والملذات، حشـر مع رفقاء السوء، ومن أحب أهل الفسق والفجور، والخنا والغناء، حشر معهم وبئس المحشر».

عن أنس بن مـالك -رضي الله عنه- قال: قـال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من مات سكران فإنه يُعاين ملك الموت سكران، ويُعـاين منكرًا ونكيرًا سكران، ويُبعث يوم القيـامـة سكران إلى خندق فى وسط جـهنم يسـمى السكران، فـيـه عين يجرى ماؤها دمًا، لا يكون له طعام ولا شراب إلا منه**». .

(١) متفق عليه.

فكل يبعث على حاله، فمن مات حاجًا، بعث حاجًا ملبيًا، ومن مات يصلى بُعث وهو على صلاته، ومن مات مؤذنًا بُعث مؤذنًا، وأما النائحة وشاقة الجيوب، ولاطمة الخدود، تبعث يوم القيامة على هذه الحالة.

عن أبى مالك الأشعرى -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أربع فى أُمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر فى الأحساب، والطعن فى الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»، وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تُقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»(١).

وقارن معى بين هذه الحادثة، وتلك التى سنذكرها، بعد ذلك اختر لنفسك ما يحلو، فإذا أردت النجاة فاسلك سبيلها، وإذا أردت غير ذلك، فأنت وشأنك. وروى ابن كثير فى كتابه «تفسير القرآن العظيم» من سبب نزول قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾(٢).

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: جاء رجل إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله! إنك لأحب إلىّ من نفسى، وأحب إلىّ من أهلى، وأحب إلىّ من ولدى، وإنى لأكون فى البيت فأذكرك، فما أصبر حتى آتيك، فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتى وموتك، عرفت أنك إذا دخلت الجنة، رفعت مع النبيين، وإن دخلتُ الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد عليه النبى -صلى الله عليه وسلم- حتى نزلت هذه الآية:

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾(٣).

---

(١) رواه مسلم. (٢) سورة النساء: ٦٩، ٧٠.

(٣) سورة النساء: ٦٩، ٧٠.

ولله در القائل[1]:

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت
أن السلامة فيها ترك ما فيها

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
إلا التى كان قبل الموت بانيها

فإن بناها بخير طاب مسكنها
وإن بناها بشر خاب بانيها

أين الملوك التى كانت مسلطنة
حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

أموالنا لذوى الميراث نجمعها
ودورنا لخراب الدهر نبنيها

كم من مدائن فى الآفاق قد بنيت
أمستْ خرابًا ودان الموت دانيها

لكل نفس وإن كانت على وجلٍ
من المنية آمال تقوّيها

فالمرء يُبسطها والدهر يقبضها
والنفس تنشرها والموت يطويها

ونختم بهذه السورة من كتاب الله -عز وجل- التى قال عنها أحد السلف الصالح: لو تدبر الناس ما فيها لكفتهم أو لوسعتهم..

---

(١) ديوان الإمام على -كرم الله وجهه-.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[1].

(١) سورة العصر.

هديـــة الكتــاب

- إلى الغافلين اللاهين
- إلى الساهين اللاعبين
- إلى العابثين النائمين

إليكم هذه الموعظة، وهى بعنوان

«ذكر الموت يُزّهد فى الدنيا»

اقـرأها -أخى- بلسـانك.. واعقلهـا بقلبك.. وتـصورها بفـؤادك.. وتدبرها بعقلك..

ليسَ الغـريبُ غريـبَ الشام واليـمنِ
إن الغـريـب غـريبُ اللحـد والكفنِ

تمر ســـاعـــات أيامى بـلا ندمٍ
ولا بكـاءٍ ولا خـــوفٍ ولا حـــزنِ

ســفـرى بـعـيــد وزادى لا يبلـغنى
وقـســمـتى لـم تزل والموت يطـلبنى

مــا أحلم الله عنـى حيـث أمـهـلنى
وقــد تماديت فى ذنـبى ويســتــرنى

أنا الذى أغلـق الأبواب مـجتــهـداً
علـى المعـــاصى وعـين الله تنظـرنى

يا زلة كُتبت في غفلة ذهبت

يا حسرة بقيتْ في القلب تقتلني

دع عنك عذلي يا من كان يعذلني

لو كنت تعلم ما بي كنت تعذرني

دعني أنوح على نفسي وأندبها

وأقطع الدهر بالتذكار والحزنِ

دعني أسح دموعًا لا انقطاع لها

فهل عسى عبرة منها تخلصني

كأنني بين تلك الأهل منطرحًا

على الفِراش وأيديهم تُقلبني

وقد أتوا بطبيب كي يُعالجني

ولم أر من طبيب اليوم ينفعني

واشتد نزعي وصار الموت يجذبها

من كل عِرقٍ بلا رفقٍ ولا هون

واستخرج الروح مني في تغرغرها

وصار في الحَلق مُراً حين غرغرني

وسلّ روحي وظل الجسم منطرحًا

على الفراش وأيديهم تُقلبني

وغمضوني وراح الكل وانصرفوا

بعد الإياس وجدّوا في شرا الكفن

وقام من كان أولى الناس فى عجل
إلى المُغسل يأتينى يغسلنى
وقال يا قوم نبغى غاسلاً حَذقًا
حرًا أديبًا أريبًا عارفًا فطن
فجاءنى رجل منهم فجردنى
من الثياب وأعرانى وأفردنى
وأطرحونى على الألواح منفرداً
وصار فوقى خرير الماءُ ينظفنى
وأسكب الماء من فوقى وغسلنى
غُسلاً ثلاثًا ونادى القوم بالكفن
وألبسونى ثيابًا لا كمام لها
وصار زادى حنوطًا حين حنطنى
وقدمونى إلى المحراب وانصرفوا
خلف الإمام فصلى ثم ودعنى
صلوا علىّ صلاة لا ركوع لها
ولا سجود لعل الله يرحمنى
وأنزلونى فى قبرى على مهل
وأنزلوا واحداً منهم يُلحدنى
وكشف الثوب عن وجهى لينظرنى
وأسبل الدمع من عينيه أغرقنى

فـقـام مُـحـتزمًـا بالـعزم مـشـتـمـلاً

وصـفف الـلبن من فـوقي وفـارَقَنى

وقـالوا هلوا عليـه التراب واغـتنمـوا

حُسن الثواب من الرحـمن ذى المنن

فى ظلـمــة القــبـــر لا أُمٌّ هناك ولا

أبٌ شـــفــــيق ولا أخٌ يُـؤنسـنى

وأودعـونى ولجـوا فى سـؤالهـمـوا

مــالـى ســواك إلهـى من يُخلـصُنى

وهالنى صـورةٌ فى العـين إذا نظرت

من هول مطلع مـا قـد كـان أدهشنى

من مُنكر ونكيــــر مــا أقـــول لهم

إذ هالنى منـهـمـا مـا كــان أفـزعنى

فـــامتن علـى بعــفـــوٍ منك يـا أملى

فـــإننى مُـــوثّـق بالذنـب مُـرتـهنِ

تقـاسم الأهل مالى بـعدمـا انصرفـوا

وصـار وزرى على ظهـرى فـأثقلنى

فـــلا تـغـــرنك الدنـيـــا وزينتـــهـــا

وانظر إلى فِـعلهـا فى الأهل والوطن

وانظر إلى من حَوىَ الدنيـا بأجمعـها

هل راح منهــا بغــيـر الـزّاد والكفن

خـذ القناعـة مـن دنيـاك وارض بهـا

لو لـم يـكن منهـا إلآ راحـة البـدنِ

يا نفس كفى عن العـصيان واكتـسبى

فِـعـلاً جـمـيـلاً لعل الله يرحـمُنى

خاتمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، الباسط القابض المحيى المميت الذى بفضله تتم الأعمال الصالحات . بديع الأرض والسماوات، الذى يقول للشيء كُن فيكون .

والصلاة والسلام على الرحمة المهداة رسول رب العالمين محمد النبى الأمى الكريم وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد:

فقد امتن الله علينا بأن تم هذا الكتاب الذى يعتبر حاويًا للحكمة والمعرفة والموعظة. فالموت حقيقة لا يغفلها إلا الجاهلون . . ولا يتهاون بها إلا الغافلون . . وقد ذكرنا فى كتابنا هذا حقيقة الموت وحقيقة البعث . . ثم الاستعداد لها. ثم علامات الموت وسكراته – ثم ذاكرنا كيفية إعداد الميت لدخوله القبر. والقبر أول منازل الآخرة لا أنيس فيه إلا عملُك . . والتثبيت فيه لا يكون إلا من الله الباعث الشهيد . . ثم كانت زيارة القبور وآدابها . . وأحوال الموتى داخل قبورهم. ولقد أكثرنا فى كتابنا من المواعظ والشواهد لعل الغافل يفيق والناسى يتذكر والجاهل يتعلم . . ونحن إذ نقدم للقارئ المسلم هذا الجهد المتواضع لنسأل الله أن يجعله لوجهه الكريم وأن ينفع به الجميع .

إنه سميع قريب مجيب الدعاء ، ،

محمد الصايم

فهــرس الكـتاب

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

تم بحمد الله تعالى. والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

محمد الصايم



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

فى هذا الكتـــاب

- الكتاب موعظة للغافلين. وتذكيرٌ للناسين.
- فى كتـابنا بيان لمخاطر حب الدنيا وعظمـة وفوائد حب الآخرة.
- فناء الدنيا وبقاء الآخرة. ووحشة القبر وعذابه ونعيمه.
- بيان الطريقة الشرعية لتجهيز الميت وإعداد القبر.
- كيف تستعد ليوم الرحيل. وما هى سكرات الموت التى كان يستعيذ منها رسول الله -ﷺ-؟ وما هى علامات الموت؟
- ذكر الموت والزهد فى الدنيا.. والاتعاظ بزيارة القبور.
- التوبة -وكلام القبر- وملك الموت. وملك الحساب - كل ذلك فى كتـــابنا الذى لا غنى عنه لـكل مـسلم ومسلمة.

الناشر





أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠